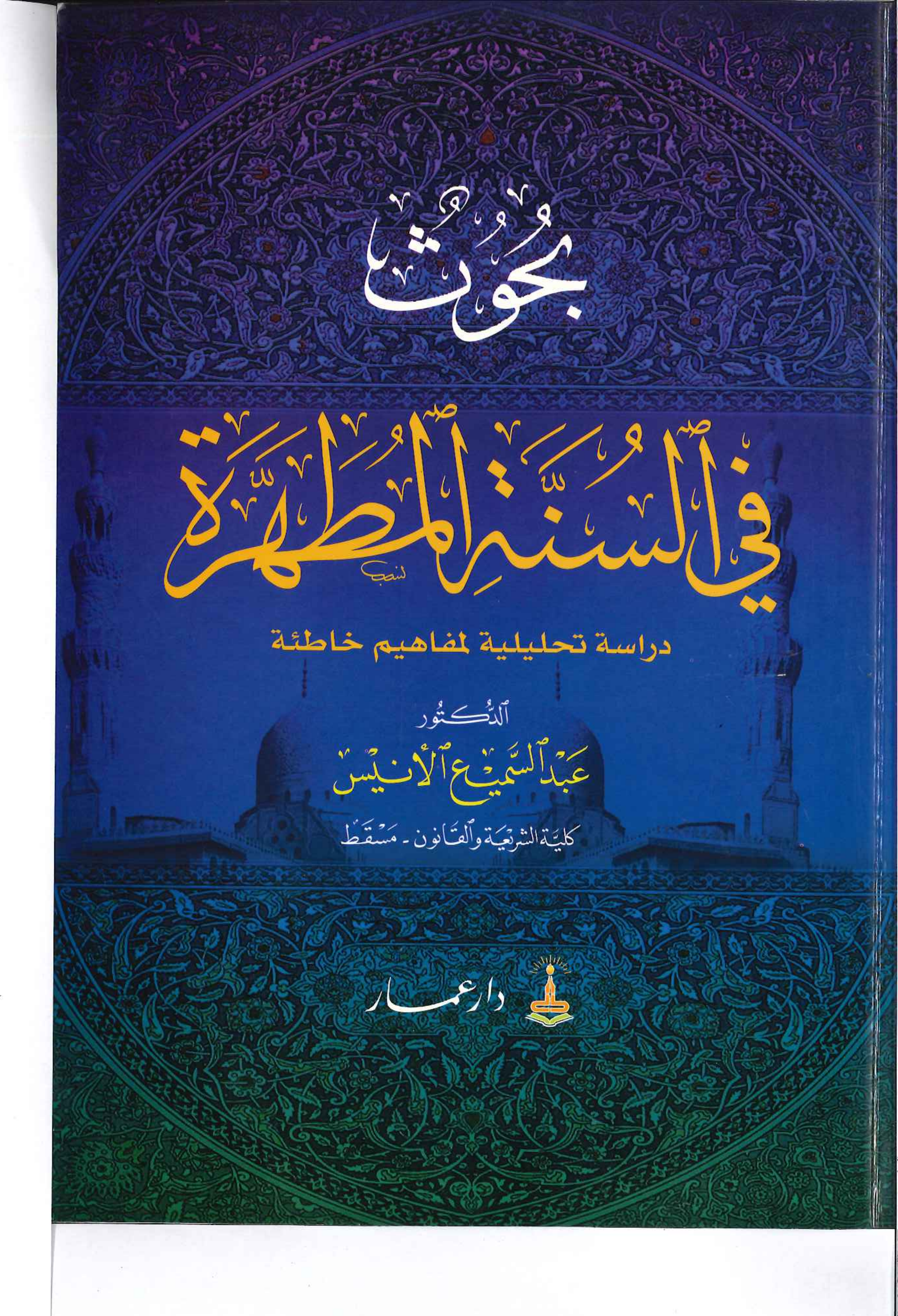

بحوث
في السنة المطهرة
دراسة تحليلية لمفاهيم خاطئة
الدكتور
عبد السميع الأنيس
كلية الشريعة والقانون - مسقط
دار عمار

بحوث في السنة المطهرة

الطَّبْعَة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٢/٧/١٩٠٥)

٢٣٠
أني
الأنيس، عبدالسميع
بحوث في السنة المطهرة/عبدالسميع الأنيس._عمان:
دار عمار للنشر، ٢٠٠٢.
(   ) ص.

ر. إ.: ٢٠٠٢/٧/١٩٠٥.
الواصفات: /الحديث//السيرة النبوية//الإسلام/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ١٨٠٥/ ٧/ ٢٠٠٢)



دار عمار للنشر والتوزيع
عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن



دراسة تحليلية لمفاهيم خاطئة

الدكتور
عبد السميع الأنيس
كلية الشريعة والقانون - مسقط

دار عمار


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

فإن من نعمة الله علينا أن بعث الله فينا رسولاً يتلو علينا آياته، ويعلمنا الكتاب والحكمة، ويرشدنا إلى أقوم طريق، وأرشد سبيل، وقد بين لنا النبي صلوات الله وسلامه عليه من أمور الدين ما به حاجة إلى البيان فأحسن البيان، وأرشدنا إلى ما ينفعنا في ديننا ودنيانا فأحسن الإرشاد.

وقام بمهمة التبيين خير قيام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ . .﴾[1]، وتركنا على المحجة البيضاء، فجزاه الله عنا الخير كله، وأحسنه، وأجزله.

وبعد؛ فإن هذا الكتاب الذي بين يديك ـ أخي القارىء ـ يغترف من بحر السنّة درراً سميته «بحوث في السنّة المطهَّرة». وتهدف هذه البحوث إلى معالجة بعض المفاهيم الخاطئة المنتشرة في الأوساط الإسلامية في عدد من القضايا المتنوعة في باب العقائد، والفرق، وأسباب النزول، وحملة الحديث الأوائل، والفقه.

كما تهدف إلى دراسة بعض القضايا التربوية، والاجتماعية في ضوء

---

(١) سورة النحل: آية ٤٤.

السنّة النّبويّة، وتحليلها تحليلاً يقربها من ذهن المسلم المعاصر، لينتفع بها في معالجة شؤونه وقضاياه.

كما أوضح معالم منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية. وكشف عن حكمة النبي ﷺ في إدارة الأزمات وحل المشكلات. وغير ذلك من البحوث التي ستراها في ثنايا الكتاب.

وقد كتبت هذه البحوث في أوقات متباعدة، وكانت إما رداً على سؤال، أو تصحيحاً لمفهوم خاطىء، أو تجلية لموضوع تربوي أو اجتماعي أو طبي، وقد ألقي عدد منها محاضرات علمية أثناء تدريسي موادّ الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية في بعض الجامعات: في بغداد، وعمّان، وصنعاء، ومسقط.

كما نشر عدد منها في مجلات علمية، وصحف عربية.

أما عن منهجي في البحث: فقد اتبعت فيه المنهجية القائمة على الاستقراء، والتحليل، والنقد والاستنتاج، وقد قمت بعرض الآراء المختلفة، وناقشت الأدلة المتوفرة عنها، ورجحت ما رأيته راجحاً حسب ما يقتضيه النظر العلمي، مع الرجوع إلى المراجع الأصلية، وتوثيق النصوص لا سيما النبوية منها حسب الطريقة العلمية في ذلك.

أما خطتي في الكتاب فقد اشتملت على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة هي كالآتي:

الفصل الأول: تصحيح مفاهيم خاطئة.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الصحابي الجليل أبو هريرة صورة من الداخل.

المبحث الثاني: مَن المقصود بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن

جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا. . . ﴾.

المبحث الثالث: «وتؤمن بالقدر خيره وشره».

المبحث الرابع: «ماذا يعني حديث افتراق الأمة؟ محاولة للاستفادة من الهدف الذي يهدف إليه الحديث.

المبحث الخامس: حول حديث النبي ﷺ: «خلقت المرأة من ضلع. . .».

المبحث السادس: هل ثبت في تحريك الإصبع في التشهد حديث صحيح؟

الفصل الثاني: قضايا طبية، وتربوية واجتماعية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: إصابة العين، وطرق معالجتها في السنة النبوية.

المبحث الثاني: أحباء الله في السنة النبوية.

المبحث الثالث: المنهج التربوي عند النبي ﷺ من خلال شهر رمضان.

المبحث الرابع: منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية ثمرة السفرجل في الحديث النبوي نموذجاً.

الفصل الثالث: حكمة النبي ﷺ في إدارة الأزمات، وحله للمشكلات.

وفيه مبحث واحد: المشكلات التي نشأت عن الهجرة إلى المدينة وكيف عالجها النبي ﷺ نموذجاً.

الفصل الرابع: نحو دراسة جديدة لحياة الصحابة.

وفيه مبحث واحد: الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، من خلال الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ. نموذجاً.

الخاتمة: شرف الكلمة عند النبي ﷺ.

ومن الله أستمد العون والتسديد، فما كان من صواب فهو الموفق له، وله الحمد في الأولى والآخرة، وما كان من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله منه، وأقول مقولة الفاروق عمر رضي الله عنه: «رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي».

وصلى الله وبارك على سيدي ومولاي محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله أولاً وآخراً.

وكتبه
د. عبدالسميع محمد الأنيس
مدرس الحديث وعلومه في كلية الشريعة والقانون
مسقط ـ سلطنة عمان
السبت ٩ / ٥ / ١٤٢٣هـ
٢٠ / ٧ / ٢٠٠٢م

* * * * *

الفصل الأول
تصحيح مفاهيم خاطئة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الصحابي الجليل أبو هريرة صورة من الداخل.

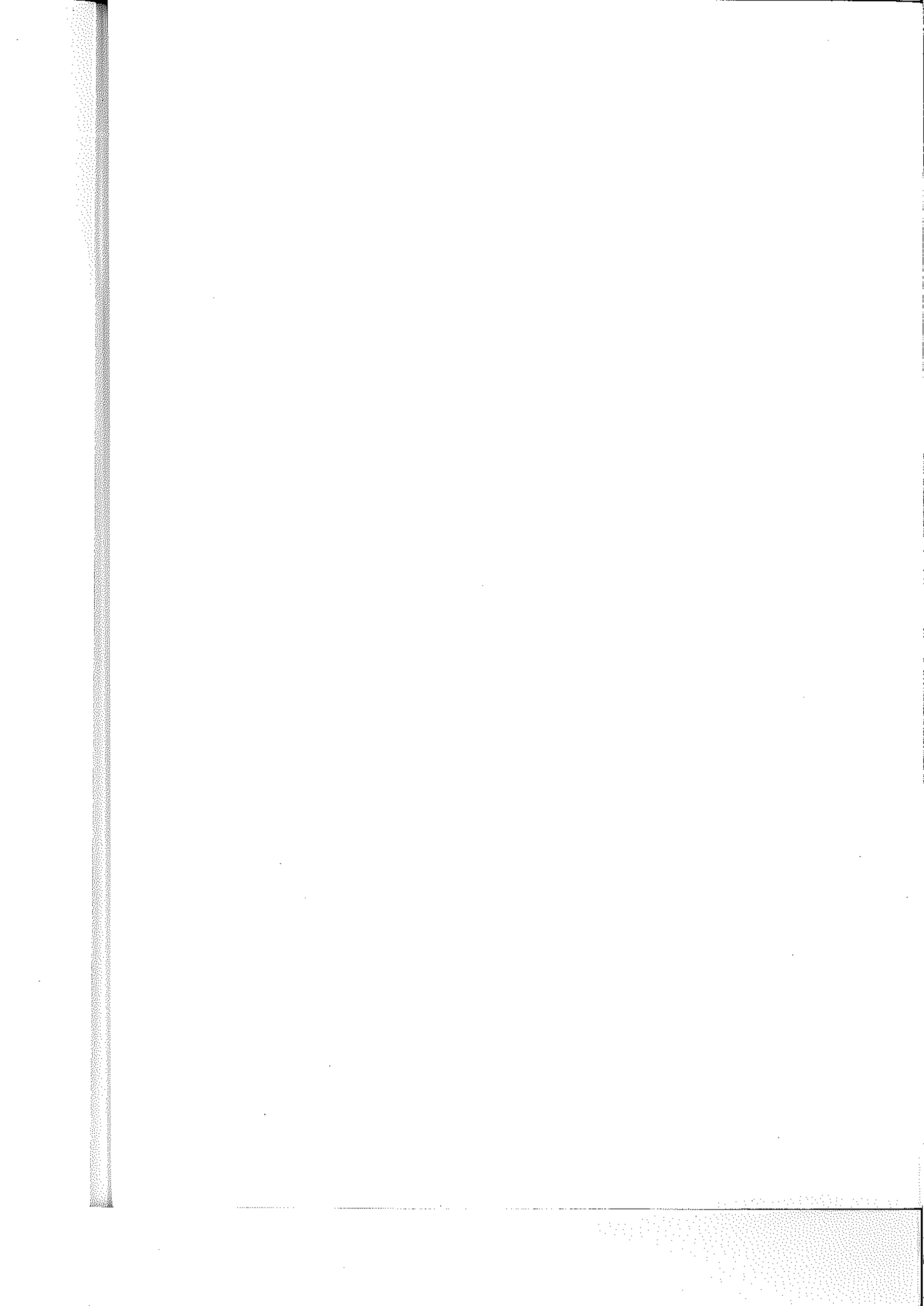
المبحث الثاني: مَن المقصود بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...﴾.

المبحث الثالث: «وتؤمن بالقدر خيره وشره».

المبحث الرابع: «ماذا يعني حديث افتراق الأمة؟» محاولة للاستفادة من الهدف الذي يهدف إليه الحديث.

المبحث الخامس: حول حديث النبي ﷺ: «خلقت المرأة من ضلع...».

المبحث السادس: هل ثبت في تحريك الإصبع في التشهد حديث صحيح؟



المبحث الأول
الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه
صورة من الداخل

لا أعلم أن صحابياً من أصحاب النبي ﷺ تعرض لهجوم عنيف وما يزال كما تعرض إليه هذا الصحابي الجليل، فقد تعرض لمحاولات التجريح والطعن والتكذيب والاتهام..

والغريب في الأمر أن محاولات التشكيك في شخصه وعلمه لم تنقطع على مرّ التاريخ. وقد نجحت إلى حد ما في غرس الشكوك بين طبقات المثقفين الذين ليس لهم اطلاع واسع على تاريخه، أو أنهم لا خبرة لهم كافية في مجال نقد المرويات، وطرائق البحث عند المحدثين..

وأنا لا أريد أن أكتب لهذا الصحابي تاريخاً فإن كتب التاريخ الإسلامي حافلة كل الحفول بالحديث عن أخباره، وأدق تفاصيل حياته، ولا أريد أن أكتب ردّاً لأن الباحثين قد دافعوا عنه وردوا كثيراً من العواصف التي أثيرت حوله.. وحسبي هنا أن أرسم له صورة قلمية توضح حقيقة حاله، وتزيل الشكوك التي نتجت بفعل معاول الهدم والتشكيك..

الصحابي الجليل أبو هريرة أحد أعمدة رواية الحديث في صدر الإسلام، لقد بلغ رتبة الإمامة بكل جدارة، وأصبح إماماً في القرآن والحديث

والاجتهاد، وحسبنا هنا شهادة المؤرخ الكبير الإمام الذهبي رحمه الله، فإنه قال عنه: «هو الإمام الفقيه، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي اليمني سيد الحفاظ الأثبات»[1].

وكانت له مواهب تؤهله، وظروف تساعده، أبينها فيما يلي:

١ ـ كان شاباً: فقد هاجر إلى النبي ﷺ من اليمن مسلماً في سنة سبع للهجرة[2]، وكان في الثلاثين من العمر، وأقام في مسجد النبي ﷺ فهو من أهل الصُّفّة، بل هو عريفهم أي: قائدهم، والقائم على شؤونهم.. وكان أهل الصّفة ـ كما يقول علماء السيرة ـ يقومون بفروض عظيمة منها: تلقي القرآن والسنة، فكانت الصفّة جامعة الإسلام الأولى، ومنها الاستعداد لتنفيذ أوامر رسول الله ﷺ ومنها: الجهاد في سبيل الله وغير ذلك.

٢ ـ صحبته للنبي ﷺ أربع سنوات على الصحيح[3] لازمه فيها ملازمة الظل للشخص في حله وترحاله، في محل إقامته وسفره... فحمل عنه كثيراً طيباً مباركاً فيه ـ لم يُلْحَقْ في كثرته ـ وهذه الفترة التي عاشها مع النبي ﷺ هي من أهم مراحل حياته، كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه خلالها يوطد لدولة الإسلام في الداخل والخارج، وكانت وفود العرب تفد من أطراف

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٥٧٨).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣٠٧٤): روى ابن خزيمة، والبخاري في «التاريخ الصغير» والطحاوي من طريق خثيم بن عراك عن أبيه عن أبي هريرة قال: قدمت المدينة والنبي ﷺ بخيبر..».

(٣) أخرج ابن سعد في «الطبقات» (٤ / ٣٢٧)، ويعقوب بن سفيان في «تاريخه» (٣ / ١٦١)، من طريق حميد بن عبدالرحمن، قال: صحب أبو هريرة النبي ﷺ أربع سنين.
قال الذهبي: وهذا أصح. فمن فتوح خيبر إلى الوفاة أربعة أعوام وليال. كما في «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٥٩٠).
ويعني بقوله: هذا أصح أي: أصح من رواية أحمد (٢ / ٤٧٥): من طريق قيس بن أبي حازم قال: قال لنا أبو هريرة: صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين.

الجزيرة العربية، وكان رسول الله ﷺ يعلمهم ويحدثهم الحديث الطويل. . وكان يرسل سفراءه إلى ملوك عصره وأمرائه يدعوهم إلى الإسلام، والانقياد التام لله ورسوله. .

عاش أبو هريرة هذه السنوات في هذا الجو المليء بالحوادث قريباً من النبي ﷺ يسمع كلامه، ويرصد أفعاله وأحكامه، ويصغي إلى توجيهاته فيعيها ويحفظها. .

٣ ـ وكان متفرغاً تفرغاً كاملاً إذ لم يكن قد تزوج آنذاك، واستمع إليه وهو يحدثنا عن تفرغه التام من الشواغل وملازمته للنبي ﷺ فيقول: «إنكم تقولون: إن أبا هريرة يُكثِرُ الحديث عن رسول الله ﷺ! وتقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يُحدِّثون مثله؟ وإن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق، وكان إخواني من الأنصار يَشْغَلُهم عملُ أموالهم، وكنت امرءاً مسكيناً من مساكين الصُّفَّة ألزمُ رسول الله ﷺ على ملءِ بطني، فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون»[(١)].

٤ ـ وكان حريصاً على التعلم من الرسول المعلم ﷺ، وكان رسول الله حريصاً على تعليمه، وقد وصفه عدد من أصحاب رسول الله ﷺ بالجرأة على السؤال.

سأل رسول الله ﷺ يوماً فقال له: يا رسولَ الله. من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلَ منك لما رأيتُ من حرصِك على الحديث. إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من نفسه»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٤ / ٢٤٧) في البيوع، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٤٩٢) والصفق في البيع: صوت وقع يد البائع على يد المشتري عند عقد التبايع.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٣)، والبخاري في «صحيحه» (١/ ١٧٣)، في كتاب العلم. =

وكان ابن عمر يقول له: يا أبا هريرة كنتَ ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلَمنا بحديثه[1].

٥ ـ وبعد كل هذا دعاء النبي ﷺ له. قال عليه الصلاة والسلام له: «ألا تسألُني من هذه الغنائم التي يسألُني أصحابُك؟» قال: قلت: أسألُك أن تُعلِّمني مما علمك الله! فنزع نمرةً كانت على ظهري فبسطها بيني وبينه... فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه قال: اجمعها فصرها إليك، «فأصبحت لا أُسقِطُ حرفاً مما حدثني»[2]. أجل إنه دعاء رسول الله ﷺ، ولهذا كان يقال: وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة.

وقد شهد له الحفاظ بالحفظ، فهذا هو الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله ـ وهو من أهل الاستقراء التام في علم الجرح والتعديل ـ يقول عنه: «وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث»[3]. وهي شهادة يعلم قيمتها المختصون بدراسة الحديث النبوي الشريف..

أجل إن أبا هريرة حفظ كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ وقد ساعده على هذه المهمة؛ شبابه، وتفرغه، وذكاؤه، وقابليته، ومحبته لمعلمه ومحبة معلمه له، وحرصه على التعلم، فلا عجب بعد ذلك أن يكون مرجع الناس، وأن يبلغ عدد الآخذين عنه ثماني مئة رجل من الصحابة والتابعين..

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: إذا كان الصحابي الجليل أبو هريرة بهذه الصفة من النبوغ والعبقرية والإمامة، فمن أين انطلق أعداؤه والطاعنون فيه؟ وهل انتقاداتهم له قد جاءت من فراغ؟ أم كان هناك مجال

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢ / ٣٢٢)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٣ / ٥١١)، ووافقه الذهبي.

(٢) رجاله ثقات، وانظر «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٥٩٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٦٢١).

للقول فقالوا؟ وأجيب: نعم إن الطاعنين فيه وجدوا نصاً جاء من عمر الفاروق رضي الله عنه، وهو قوله لأبي هريرة: لَتَتْرُكَنَّ الحديثَ عن رسول الله ﷺ أو لأُلحِقَنَّكَ بأرض دوس[1].

فقطعوه عن زمانه، ومكانه، وسياقه التاريخي، والظروف المحيطة به، ثم بنوا عليه وضخموه ووسعوه وبالغوا فيه.. إنهم اتخذوا هذه الكلمة متكأً يتكئون عليها لبثّ سموم حقدهم على السنّة المطهّرة، متمثلة بالصحابي الجليل أبي هريرة.. والهدف ليس التشكيك به بقدر ما هو التشكيك بالإرث الضخم الذي حفظه عن رسول الله ﷺ، والتشويش على المسلمين في دوائرهم العلمية والثقافية، ومن ثم إحداث نوع من الإشغال المتعمد الذي كثيراً ما يلجأ إليه محترفو الغزو الفكري والعقائدي، وسياسة المكر والحقد والخديعة في تحقيق أهدافهم وتنفيذ مآربهم..

إن هذه الكلمة التي قالها سيدنا عمر كانت سياسة عامة طبقها عمر في خلافته الراشدة، ولها أسبابها.. ولا تختص بصحابي دون آخر.. وإلا فماذا تقول أمام قول عمر رضي الله عنه لعشرة من الأنصار على رأسهم قرظة بن كعب ـ وكان قد أرسلهم إلى الكوفة ـ قال لهم: «إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم وقالوا: أصحاب محمد، فأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم» وهي رواية صحيحة.

---

(١) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (١٤٧٥)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٦٠١): إسناده صحيح.
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨ / ١٠٦): وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك.

أجل لقد فتحت الأمصار، وتوسعت الدولة الإسلامية، ودخل كثير من الشعوب الأخرى في الإسلام فماذا فعل عمر؟ إنه يريد أن يشغلهم بالقرآن حتى تنصبغ حياتهم الجديدة به.. ويريد ثانياً أن يعلمهم: أن المصدر الأول في الإسلام هو القرآن الكريم، إنه لا ينهاهم عن التحديث بالسنة التي لا بد من العلم بها، لا سيما السنة العملية التي تتعلق بأحكام العبادات والمعاملات، وإنما عن السنّة التي تتحدث عن أخبار الأمم وأشراط الساعة والفتن والملاحم وغيرها.. بدليل قول أبي هريرة نفسه فإنه قال: لما ولي عمر قال: أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلا فيما يعمل به[1].

ولقد أصبحت هذه السياسة العمرية الراشدة منهجاً عاماً سار عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فلا غرو بعد ذلك أن نجدهم يقولون لأبي هريرة كلما دفعه حرصه للإكثار من التحديث: «لقد أكثرت يا أبا هريرة»[2] وما كان هدفهم التشكيك بمروياته بل كان النقد موجهاً إلى أسلوبه في التحديث بناءً على التوجيه العام الذي صدر من أمير المؤمنين... ولعل من الدليل على ذلك ما جاء عن السيدة عائشة وقد قالت لابن أختها عروة بن الزبير: ألا يعجبك أبو هريرة، جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي ﷺ يسمعني ذلك، وكنت أسبّح ـ أي أصلي نافلة ـ فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم[3].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» برقم (٢٠٤٩٦).

(٢) وفي رواية: دخل أبو هريرة على عائشة؛ فقالت له: أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ! قال: إي والله يا أماه؛ ما كانت تشغلني عنه المرآة، ولا المُكحُلَة، ولا الدهن. قالت: لعله.

ورجاله ثقات، وانظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٨ / ١٠٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٢ / ٦٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٤٩٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٦٥٥).

هذا كل ما في الأمر. . ولكن المستشرقين، وأتباع المستشرقين من جلدتنا، تلقفوا كلمة عمر ثم اتخذوها هدفاً للنيل من السنة المطهرة، والتشكيك في نقلتها العدول، فقالوا: إن أبا هريرة صحب رسول الله فترة قصيرة فكيف استطاع أن يروي (٥٣٧٤) حديثاً؟!

ولذلك لا بد من تحقيق هذه القضية تحقيقاً علمياً ما دام الأعداء قد استغلوها أبشع استغلال. . فهل حقاً أكثر أبو هريرة كما يدّعون؟ سألت نفسي هذا السؤال، ثم قمت بالتحقيق فكانت النتيجة ما يأتي: لقد اعتمد هؤلاء المتشككون في إحصائية الأحاديث التي رواها هذا الصحابي الجليل عن النبي ﷺ على «مسند بقي بن مخلد» (٢٠١ ـ ٢٧٦)، وقد بلغ عددها فيه (٥٣٧٤)[١] وهو مسند مفقود غير موجود، بينما بلغت أحاديثه في «مسند أحمد» (٣٨٧٠) حديثاً.

وفاتهم أن هذا العدد إنما هو محصي على طريقة المحدثين في عدهم كل طريق من طرق الحديث الذي يرويه رجل من رجاله حديثاً برأسه، فلو روى مئة رجل من رجال الحديث نصاً نبوياً واحداً فهو عندهم مئة حديث بعدد الطرق التي وصلت إليهم.

أما أحاديث أبي هريرة فقد رجعت في إحصائها إلى خمسة عشر كتاباً من أهم كتب السنة وهي: «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، والكتب الستة الشهيرة، و«موطأ مالك»، و«مسند الحميدي»، و«سنن الدارمي»، «وصحيح ابن خزيمة»، و«الأدب المفرد»، وعدد من كتب أصحاب الكتب الستة. . وحذفت الطرق المكررة، فكانت النتيجة أن عدد الأحاديث لا تتجاوز (١٥٠٠) نص!!

علماً بأن هذه الأحاديث المذكورة ليست كلها صحيحة، بل فيها الحسن

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٦٣٢).

والضعيف، فلو حذفنا الضعيف لأن التبعة فيه ليست على أبي هريرة وإنما على الرواة الضعفاء، لنقص العدد عن هذا الرقم المذكور. .

وقد نبه إلى هذا الذي قلته الإمام بسر بن سعيد فإنه كان يقول:

«اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث؛ فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم؛ فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله ﷺ»[1].

ومثال ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة. . .» رواه مسلم في «صحيحه»[2].

وقد قال الإمام البخاري في «تاريخه»[3] عن هذا الحديث: وقال بعضهم عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح.

وقال ابن كثير في «تفسيره»[4]: «هذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم»، وقد تكلم عليه ابن المديني، والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي».

---

(١) انظر كتاب «التمييز» للإمام مسلم (ص ١٠٨)، وسنده صحيح.
(٢) برقم (٢٧، ٢٧٨٩).
(٣) (١/ ١/ ٤١٣).
(٤) (١/ ٦٦).

وقال الشيخ ابن تيمية[1]: «والقرآن يدل على غلط هذا، ويبين أن الخلق في ستة أيام، وثبت في الصحيح أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فيكون أول الخلق يوم الأحد».

هذا شيء، وشيء آخر: أن هذه الأحاديث التي رواها ليست جميعها مما سمعه من رسول الله ﷺ مباشرة، فعدد غير قليل قد سمعه من أصحابه، وقد ذكر مؤرخو حياته أنه حدَّث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأبيّ بن كعب وعائشة وغيرهم.

قال ابن حبّان في مقدمة «صحيحه»[2]: «وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله ﷺ ما رووها عن النبي ﷺ، وإن لم يبينوا السماع في كل ما رووا، وبيقين نعلم أن أحدهم ربما سمع الخبر عن صحابي آخر.. لأنهم رضي الله عنهم أجمعين ـ وقد قيل ـ كلهم أئمة سادة قادة عدول، نزه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول الله ﷺ عن أن يلزق بهم الوهن».

فهل يقال بعد كل ما تقدم لرجل موهوب صحب رسول الله ﷺ ما يقارب (١٤٦٠) يوماً وليلة فحفظ منه ما يقارب (١٥٠٠) نص، ومنها ما سمعه من أصحابه من بعده: إنه أكثر الحديث..؟!

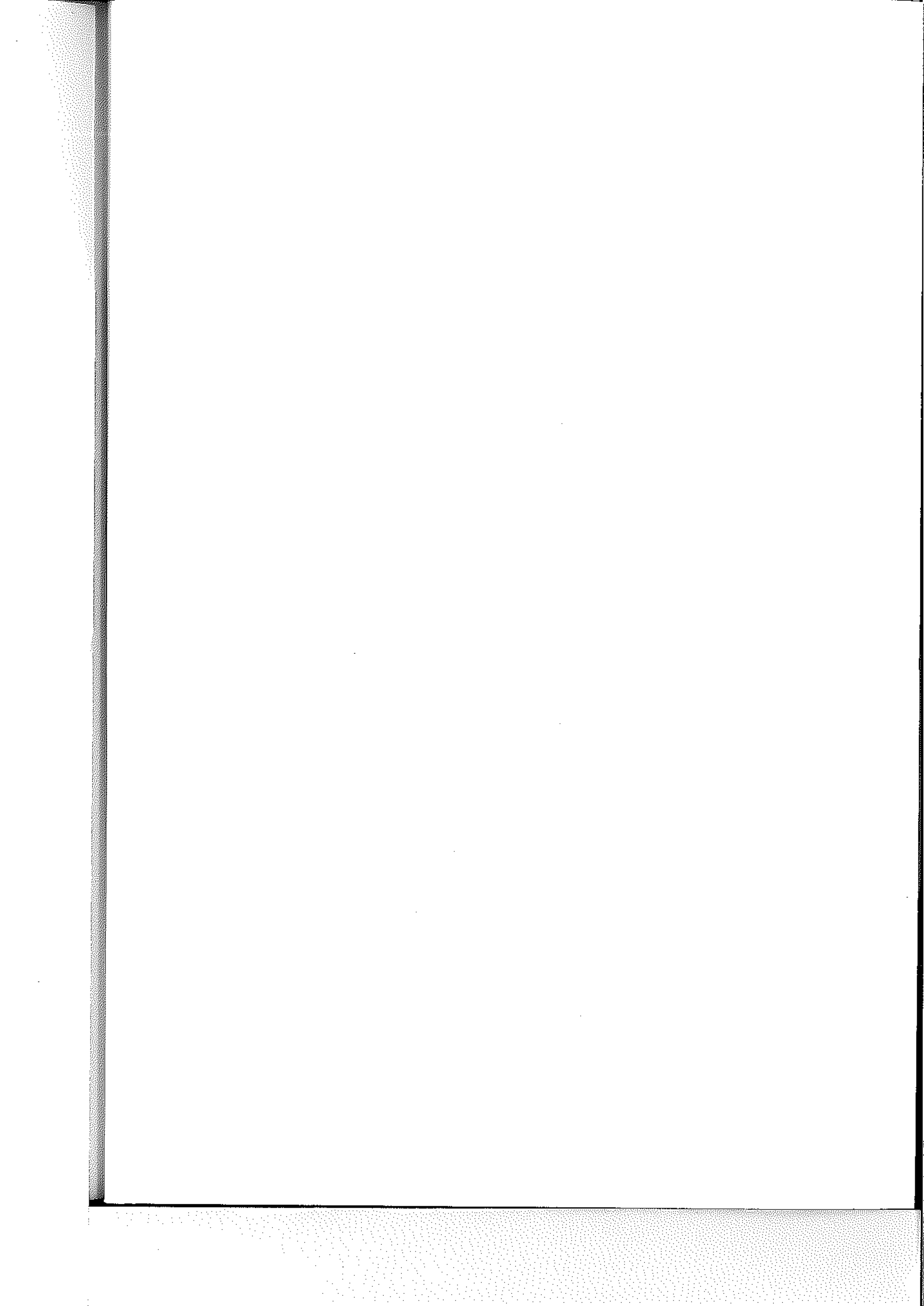
أترك الجواب للقارىء الفطن، ليرى كيف تزيف الحقائق عند دعاة البحث العلمي النزيه؟!!!

* * * * *

---

(١) في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢ / ٤٤٣)، وانظر «مجموع الفتاوى» له (١ / ٢٥٦).
وقد أعله عدد من المحققين منهم الإمام الزركشي في كتابه «النكت على مقدمة ابن الصلاح» (٢ / ٢٦٨) والشيخ عبدالله الغماري في «الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة والمردودة» (ص ١٠٣).

(٢) (١ / ١٢٢).



المبحث الثاني
من المقصود بقوله تعالى
﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ...﴾؟

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[1].

توجه هذه الآية أنظار المسلمين إلى وجوب التثبت والتبين في الأنباء وصولاً إلى الحق، وإنصافاً للحقيقة، وعلى الرغم من وضوح هذا التوجيه القرآني فإنني وجدت عدداً ممن كتب في سبب نزول الآية لم يتثبت في تحديد الموصوف في هذه الآية بالفسق علماً بأن الوصف شديد إذ إنه يسقط العدالة، ويجعل صاحبه في عداد المتهمين..

والنص القرآني لم يحدد شخصاً معيناً، وقد جاء بصيغة التنكير، ليفيد توجيهاً عاماً، وسبب النزول لم يحدد بصورة قاطعة من المقصود، وما زالت هناك حلقة مفقودة يمكن من خلالها معالجة الموضوع بصورة أوضح، وقد أشار الشيخ ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير»[2] إلى أن هذا الفاسق ـ على فرض أن الآية تشير إلى فاسق معين ـ هو رجل من القوم قام بتبليغ الوليد

---

(١) سورة الحجرات: آية ٦.

(٢) للتوسع في ذلك ينظر التفسير المذكور (٢٦ / ٢٣٠).

ما جعله يخاف ويرجع قبل إتمام مهمته ليصدوه عن الوصول إلىديارهم قصداً لإرجاعه، إذ كانت بينه وبينهم شحناء من زمن الجاهلية، تعيراً منهم في نظر عامتهم من أن يدخل عدو لهم إلىديارهم، ويتولىقبض صدقاتهم فتعيرهم أعداؤهم بذلك. وهو توجيه جيد لو ثبت على محك النقد.

وسواء قلنا هذا أو ذاك فإن الفسق ليس وصفاً لازماً، إذ يمكن للفاسق أن يتوب من الفسق الذي ارتكبه، ويتوب الله على من تاب.

وفيما يأتي صورة لمعالجة هذه القضية الشائكة عند عدد من المفسرين:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة.

قال الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره[١]:

«وذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن أبي معيط، ثم نقل ذلك عن كل من أم سلمة، وابن عباس من رواية العوفي، ومجاهد مرسلاً وقتادة مرسلاً ـ وقد أخرج روايته عبدالرزاق في «تفسيره» ـ وعبدالرحمن بن أبي ليلى مرسلاً، وأضاف إليهم ابن كثير في «تفسيره» المسمى «تفسير القرآن العظيم»[٢]: الضحاك ومقاتلاً».

ثم أضاف الحافظ عماد الدين ابن كثير قائلاً:

«وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقد روى ذلك من طرق، ومن أحسنها: ما رواه أحمد في «مسنده»، من رواية محمد بن سابق. قال: حدثنا عيسى بن دينار، حدثني أبي أنه سمع الحارث... وذكر الرواية، وفي آخرها قال: فنزلت الحجرات إلى قوله حكيم».

---

(١) (١٣/ ١٦٠).
(٢) (٤/ ٢١٠).

وقال ابن حجر في «الإصابة»[1]:

«ورواه ـ أي سبب النزول في هذه الآية ـ ابن أبي حاتم والطبراني، وفي السند من لا يعرف».

وقال السيوطي في «الدر المنثور»[2] عن حديث الحارث هذا:

«أخرج أحمد، وابن أبي الدنيا، والطبراني، وابن منده وابن مردويه بسند جيد عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي» ثم ساق الحديث... وفيه: «فلما أن سار الوليد إلى أن بلغ بعض الطريق فرق ـ أي: خاف ـ فرجع... وكان بينه وبين بني المصطلق عداوة».

قلت: ومدار الحديث هذا على دينار مولى عمرو بن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، فقد ذكره ابن حبان في كتابه «الثقات».

وقال عنه ابن حجر في «التقريب»[3] بأنه مقبول.

ولكن الإمام علي بن المديني قال عنه في معرض حديثه عن عيسى بن دينار: عيسى معروف ولا يُعرف أبوه... وهذا القول ينسجم مع قول ابن حجر في الإصابة: وفيه من لا يعرف..

ولكن من خلال جمع كل الروايات، سواء منها المرفوع والموقوف والمرسل، نجد أن للقصة أصلاً[4]، ومن هنا فقد قال ابن عبدالبر في «أسد الغابة»[5]: «لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أنها نزلت في

---

(١) (٣/ ٣٢٣).

(٢) (٦/ ٨٧).

(٣) برقم (١٨٣٨).

(٤) وقد قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في حديث الحارث هذا: هو حسن بشواهده دون قصة الحارث كما في تعليقه على مسند أحمد بن حنبل رقم الحديث (١٨٤٥٩).

(٥) (٤/ ٦٧٥).

الوليد بن عقبة».

وفي هذا أكثر من إشكال:

أولاً: ما قاله الإمام الرازي في «تفسيره»[1]:

«ما ذكره المفسرون من أنها نزلت بسبب الوليد بن عقبة، حين بعثه الرسول ﷺ إلى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم... إلخ:

إن كان مرادهم أن الآية نزلت عامة لبيان وجوب التثبت في خبر الفاسق، وأنها نزلت في ذلك الحين الذي وقعت فيه حادثة الوليد، فهذا جيد»، وقال أيضاً: «غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك، وهو مثل التأريخ لنزوله.

وإن كان غرضهم أنها نزلت لهذه الحادثة بالذات، فهذا ضعيف؛ لأن الوليد لم يتقصد الإساءة إليهم، ورواية أحمد تدل على أن الوليد خاف وفرق حين رأى جماعة الحارث ـ وقد خرجت لانتظاره ـ فظنها خرجت لحربه، فرجع وأخبر رسول الله ﷺ بما أخبره، ظناً منه أنهم خرجوا لقتاله ـ لا سيما إذا علمنا بأنه كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية ـ ثم أضاف قائلاً: ويتأكد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ «الفاسق» على الوليد شيء بعيد، لأنه توهم وظنَّ فأخطأ، والمخطىء لا يسمى فاسقاً...».

وأنت ترى أن الإمام الرازي ينفي إطلاق لفظ الفسق على الوليد مطلقاً، بناء على توجيهه المذكور...

ثانياً: أما المفسر الألوسي فقد انطلق في «تفسيره روح المعاني»[2] من القاعدة المشهورة عند كثير من أهل العلم: ««بأن الصحابة كلهم عدول».

ومن طرأ له منهم قادح ككذب أو سرقة أو زنا عمل بمقتضاه في حقه،

---

(١) (٧/ ٥٨٩).
(٢) (٢٦/ ١٤٦).

إلا أنه لا يصر على ما يخل بالعدالة بناء على ما جاء في مدحهم من الآيات والأخبار، وتواتر من محاسن الآثار، فلا يسوغ لنا الحكم على من ارتكب منهم مفسقاً، بأنه مات على الفسق».

ثم أضاف قائلاً: «وحينئذ إن أريد بقوله: إن من الصحابة من ليس بعدل، وإن منهم من ارتكب في وقت ما ما ينافي العدالة؛ فدلالة الآية عليه مسلمة، لكن ذلك ليس محل النزاع.

وإن أريد به أن منهم من استمر على ما ينافي العدالة؛ فدلالة الآية غير مسلمة كما لا يخفى..».

ثالثاً: وقال الشيخ القطب محمد بن يوسف اطفيش (ت ١٣٣٣هـ) في تفسيره «هيميان الزاد»[١]: «وفسق الوليد هذا فسق نفاق عن بعض: أن الآية عامة، قلنا: نعم، وقال: إن الوليد أخطأ وظن، وليست الآية حاكمة بفسقه، أو حاكمة بفسق تاب منه؛

قلنا: لو كان يتوب ما سماه الله فاسقاً، إلا أن يراد أن فعله فعل فاسق، لا أنه فاسق».

أراد أن يقول: إذا كان فعله فعل فسق، إذاً يمكن أن يتوب..

وهؤلاء العلماء الثلاثة متفقون من حيث النتيجة، وإن اختلفت طريقة كل واحد منهم في معالجته للموضوع.

والناظر في تاريخ الوليد بن عقبة من خلال كتب التراجم والتاريخ؛ يجد أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قد ولاه صدقات بني تغلب، وولاه عثمان ابن عفان الكوفة، ثم عزله...

---

(١) (١٣ / ٥٢١).

قال مصعب الزبيري: «كان من رجال قريش وشعرائهم..».

كانت ولايته سنة (٢٥هـ) على الكوفة، وفي سنة (٢٨هـ) غزا أذربيجان، وهو أمير القوم، وعزل سنة (٢٩هـ).

وقال ابن حجر في ترجمته من كتاب «تهذيب التهذيب»:

«والرجل فقد ثبتت صحبته، وله ذنوب أمرها إلى الله، والصواب السكوت».

وفي كل ما تقدم رد على الرافضة، الذين يصرحون بفسقه، وباستمرار التفسيق رجماً بالغيب دون اطلاع على ما ختم للرجل...

بل يتخذون ذلك ذريعة للطعن بكثير من أصحاب النبي ﷺ.

وبعد: فهذه وقفات حول هذه القضية الشائكة، وما زلت أرى أن البحث به حاجة إلى مزيد من التأمل والمراجعة العلمية[1]..

* * * * *

(١) وقد اطلعت مؤخراً على بحث كتبه صديقي الدكتور طه ياسين الخطيب، وقد جزم فيه بتضعيف حديث الحارث المروي في مسند أحمد وغيره، ورده دفاعاً عن الوليد، وردُّ الحديث يحل الإشكال عند من ضعفه، لكنه لا يحل الإشكال عند من أثبته وفيهم أئمة، ولهم تخصص بالحديث النبوي، لذلك أرى أن معالجة الموضوع من حيث الدراية كما فعل الرازي والألوسي وابن عاشور أولى من معالجته من حيث الثبوت من عدمه.

المبحث الثالث

«وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1]

تأملت في هذا الركن الإيماني طويلاً، وراقبت الصراع الذي دار حوله خلال التاريخ العَقَديّ للمسلمين، ثم حسم الصراع بتقريره أصلاً كما كان، ومن عارض عدّ خارجاً عن المنهج الذي ارتضاه المسلمون وساروا عليه . .

وكان من نتائج هذا الصراع وآثاره: أنه خطف بريقه، وأورث حوله غبشاً مما أفقده أحياناً غايته في ترسيخ هذا الركن في قلب المسلم، والاستفادة من آثاره العظيمة في الاطمئنان والسعادة واليقين . .

وقد أردت أن أكتب فيه هذه الكلمات أحسبها مفيدة في فهم هذا الركن، وبيان معناه بعيداً عن جدل المتكلمين فأقول وبالله التوفيق:

الإيمان بالقدر: «يعني الإيمان بعلم الله المطلق، وإحاطته الأزلية بمقادير الأشياء وأطوارها التي ستكون عليها: من مبدأ ونهاية، وقوة وضعف، وخير وشر، وما تقع فيه من زمان ومكان، وما يسبقها من مقدمات، وما يتبعها

---

(١) هو قطعة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهو حديث عظيم جداً، يشتمل على شرح الدين كله ولهذا قال النبي ﷺ في آخره: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وسمى هذا الحديث بـ «أم السنة».

وقد أخرجه أحمد في مسنده(٨ / ٢٧ و٥١ ـ ٥٢)، ومسلم في صحيحه برقم (٨)، والنسائي (٨ / ٩٧)، وابن ماجه (٦٣)، وابن حبان (١٦٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٢).

من آثار، فهو سبحانه كما علم الأشياء، علم أسبابها ونتائجها وسائر أحوالها وظروفها، وربط بعضَها ببعض في علمه، ومجموع ذلك هو القدر. فلو وقعت المسببات بدون أسبابها التي ربطها بها في علمه لكان بعض القدر واقعاً، وبعضه غير واقع، وهذا جهل كبير تعالى الله عنه علواً كبيراً..»[1] هذا واجب الاعتقاد.

ولكن السؤال الذي يسأله المسلم دائماً، ويدور في ذهنه: ما علاقة الإنسان بالأقدار من الناحية العملية؟ وكيف يتعامل معها؟

والجواب على هذا: أن الإنسان يعيش في هذه الحياة، وهو يتقلب بين أقدار الله سواء أكانت خيراً أم شراً، وإذا علمنا بأنه يعيش في حالة اختبار كما بيّن الحق بقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2]. فمهمته إذن: هي معالجة الأقدار بالأقدار، والقرآن الكريم يقرر هذه القاعدة، ويبين أن النصر مع الصبر، وأن الرزق مع السعي، وأن الأمن في إقامة الحدود، وأن السعادة مرتبطة بالعمل، قال تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾[3]. وقال: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[4]. وقال: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[5]...

ومن درس السنة النبوية القولية والعملية تحقق يقيناً بأن النبي ﷺ كان يعالج الأقدار بالأقدار، ويأخذ بالأسباب، فقد حارب وسالم، ولبس الدروع وحفر الخندق، وسعى وأمر بالسعي، وتداوى وأمر بالتداوي... إلى غير

---

(١) «المختار من كنوز السنة النبوية» د. محمد عبدالله دراز (ص ٢١٩).
(٢) سورة الأنفال: آية ٣٥.
(٣) سورة الأنفال: آية ٦٦.
(٤) سورة تبارك: آية ١٥.
(٥) سورة البقرة: آية ١٧٩.

ذلك من الأمثلة التي تؤيد هذه القاعدة وتثبتها!

وهذا سيدنا عمر رضي الله عنه عندما قال له أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ أجابه: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعمْ نفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله[1] . .

ورحم الله الإمام ابن القيم إذ قال: «ليس الرجل الذي يستسلم للقدر، بل الذي يحارب القدر بقدر أحب إلى الله».

ومعنى هذا: أن على الإنسان أن يعيش حالة مغالبة الأقدار بأقدار أحب إلى الله، وأن يسعى دائماً للخروج من أقدار الشر إلى أقدار الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهذا السعي له مراتب: فهناك أقدار يجب على المسلم أن يخرج منها وجوباً: كالانتقال من حال الكفر والعصيان إلى حال الطاعة والإيمان.

وهناك أقدار على المسلم أن يخرج منها، وهي دائرة بين الإيجاب والندب، كالخروج من قدر المرض إلى الصحة، لأن النبي ﷺ أمرنا بالتداوي فقال: «تداووا؛ فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء. .». رواه الترمذي وقال: حسن صحيح[2] .

وقيل: يا رسول الله: أرأيت رقى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله»[3] .

والخروج من قدر الفقر إلى قدر الغنى. لأن النبي ﷺ استعاذ بالله من الفقر، وسأل ربه الغنى. .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٠ / ١٧٩) بشرح «فتح الباري»، ومسلم في صحيحه(١٤ / ٢٠٨) بشرح النووي.

(٢) برقم (٢٠٣٨).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٠٦٥ و٢١٤٨)، وابن ماجه (٣٤٣٧).

والخروج من قدر الضعف إلى قدر القوة. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]، وقال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل»[2].

ومن قدر الجهل إلى قدر العلم. لأن النبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3].

والخروج من قدر العجز والكسل إلى قدر الحركة والسعي. لقوله تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[5].

وهكذا يسعى دائماً لينتقل من الأقدار التي لا يحبها الله إلى الأقدار التي يحبها ويرضى عن أصحابها، ومن الأقدار المحبوبة إلى الأقدار الأحب إلى الله، وما أحسن قول الإمام الشيخ عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه: «ليس الرجل الذي يُسلِّمُ ـ أي يستسلم ـ للأقدار، وإنما الرجل الذي يدفع الأقدار بالأقدار.

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٦٧١٦).

(٣) رواه ابن ماجه برقم (٢٢٤) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده كما قال الإمام المزي. وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١ / ٥٥)، و«المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧)، وللشيخ الحافظ أحمد الغماري جزء في تصحيح الحديث سماه «المسهم في طرق حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم».

(٤) سورة تبارك: آية ١٥.

(٥) سورة التوبة: آية ٤٦.

وفي رواية: نِفرٌّ من القدر الفاضل إلى القدر الأفضل».

وليعلم المسلم أن هذا السعي متعلق بمشيئة الله المطلقة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وصدق الشاعر عندما قال:

على المرء أن يسعى لتحقيق مقصد وليس عليه أن يكون موفقاً

والمسلم وهو يعيش حالة مغالبة الأقدار، حالة السعي المتواصل المنوط بمشيئة الله المطلقة هو لا شك قائم بين مقامي الصبر والشكر.

وبيان ذلك: أنه إذا وفق للخروج إلى الأقدار التي يحبها الله أو الأحب إلى الله، عن طريق أخذه بالأسباب كان شاكراً، وإن لم يوفق للخروج ـ في غير حالة الانتقال الواجب التي أشرنا إليها آنفاً ـ كان صابراً.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة عندما قال: «عجباً لأمر المؤمن! إن أَمَرهُ كلَّهُ خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له». رواه مسلم[1]. وقوله صلوات الله عليه: صبر أي على ما أصابه. لا بمعنى أنه يقعد عن السعي لما يغنيه من فقره، أو لما يشفيه من مرضه، أو لما ينصره على عدوه؛ بل ينبغي أن يسعى في ذلك بقدر ما خوله الله من قوة، مع التماس الفرج من واهبه الفعال لما يشاء. وإنما معناه: أنه إن أخذ بما استطاع من الأسباب العادية، ولم يظفر بما تمنى لم يسخط من قدر الله، ولم ييأس من رحمة الله، بل يرضى بما اختاره الله له.

والمسلم إذا فهم معنى هذا الركن الإيماني، واستقر في قلبه، انتقل بعد ذلك إلى مقام الرضا عن الله، وهو مقام عالٍ جداً، وقد عبر عنه سيدنا عمر:

---

(١) برقم (٢٩٩٩).

لو كان الصبر والشكر بعيرين؛ ما باليت أيهما أركب.

فالمسلم يرضى عن الله في أفعاله، ولا يعترض على أقداره التي أقامها الله فيها، بعد أخذه بأسباب الانتقال منها، ويتلو قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

والحق: إن السعادة في الرضا، فمن حرم نعمة الرضا فقد حرم الخير كله، وتنغص عيشه، ولو كان في ثياب الملوك، ومن رزق الرضا سرعان ما تتغير مفاهيمه ونظرته إلى الحياة، فتغدو مصائبه نعماً، وآلامه لذائذ، ومحنه منحاً وعطايا، وقد نقل لنا العلامة ابن القيم نصاً نفسياً في هذا المعنى عن رجل من رجال السلف الصالح، هو الإمام عبدالواحد بن زيد، فإنه قال: «الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وأهل الرضا يلاحظون ثواب المبتلي، وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء فينسيهم ألم المقضى به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك، حتى إنهم لا يشعرون بالألم، بل ربما يتلذذون بما أصابهم لملاحظة صدوره من حبيبهم».

فإذا اطمأنت النفس بالإيمان، ورضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ذاقت طعم الإيمان، وكانت مرضية عند الرحمن، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[2]. فتدخل في زمرة عباد الله الصالحين السعداء في الدنيا بإيمانهم وعدم اعتراضهم، وفي الآخرة بقربهم من ربهم.

فإذا لم تستطع التحقق بمقام الرضا، فعليك بالصبر. وقد كتب سيدنا

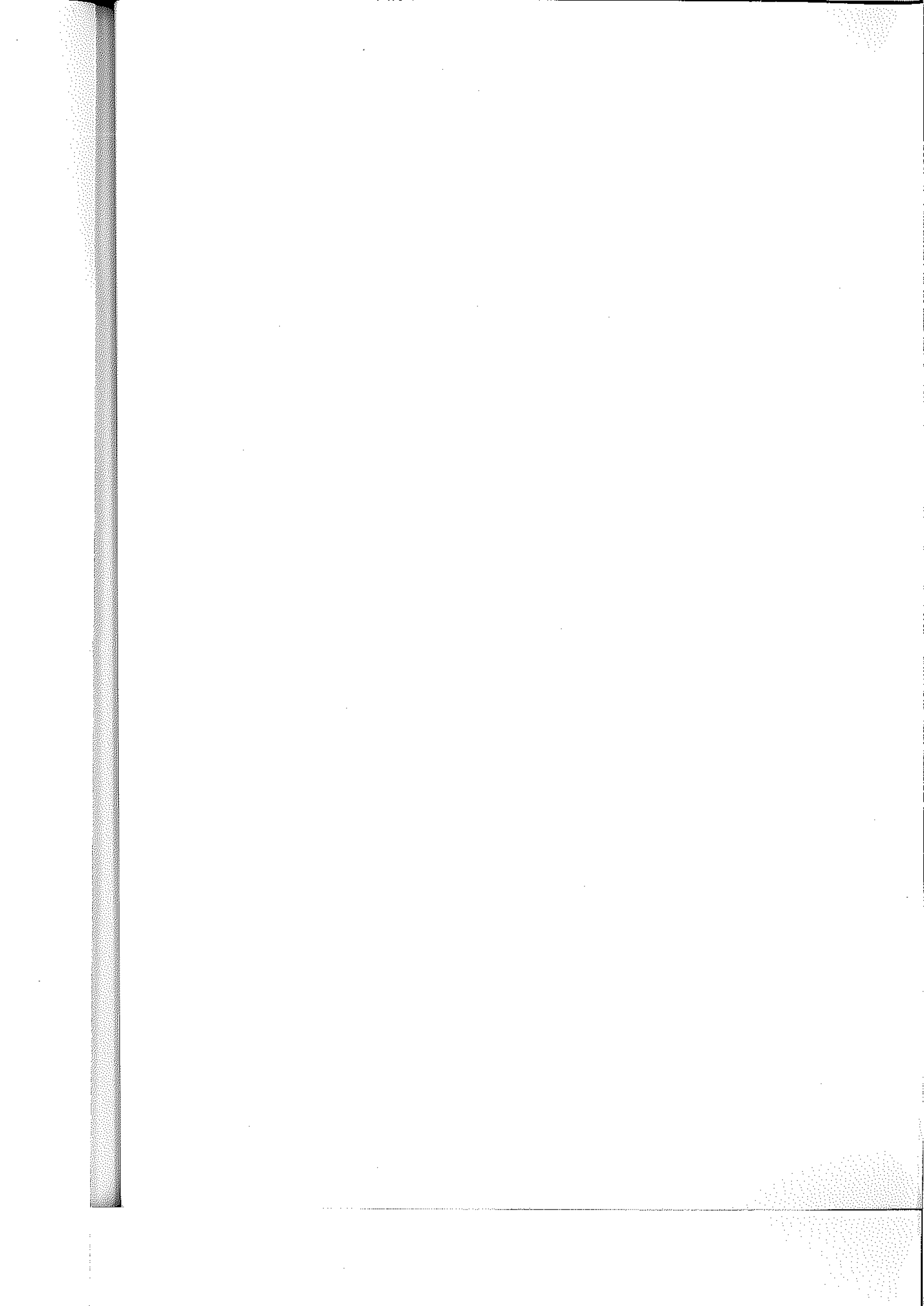
---

(١) سورة البقرة: آية ٢١٦.

(٢) سورة الفجر: آية ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقول له: أما بعد؛ فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى، وإلا فاصبر».

* * * * *



المبحث الرابع

ماذا يعني حديث افتراق الأمة؟

محاولة للاستفادة من الهدف الذي يهدف إليه الحديث

إن حديث افتراق الأمة بحاجة إلى تفسير، لنبين قصد النبي ﷺ من هذا الحديث. ترى، هل هو مجرد الإخبار بما سيحدث، أم وراءه أمر آخر يريد النبي ﷺ أن يرشدنا إليه؟

فلنعد إلى نص الحديث. قال رسول الله ﷺ:

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[١].

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم (٨٣٧٧)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٥٩٦)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٧٧٨)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٩٩١)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٦٢٤٧ و٦٧٣١)، والحاكم في «مستدركه» (١ / ١٥١، ٣٣٦)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٢٠٩٠١)، وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وليس فيه الزيادة المذكورة «كلها في النار إلا واحدة».
وعن هذه الزيادة قال العلامة ابن الوزير (ت ٨٤٠هـ) في «العواصم والقواصم» (١ / ١٨٦): «وإياك والاغترار بـ«كلها هالكة إلا واحدة» فإنها زيادة فاسدة، غير صحيحة القاعدة، لا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة، وعن ابن حزم: أنها موضوعة، غير موقوفة ولا مرفوعة». وستأتي مناقشة هذه الزيادة من حيث الثبوت.

وفي رواية: كلها في النار إلا واحدة وهي «الجماعة»[1]. وفي بعض الروايات: ما أنا عليه وأصحابي[2]، وفي رواية: «السواد الأعظم»[3].

فلا بد من وراء كلامه ﷺ أمر عظيم، يتناسب مع وظيفة الرسول

---

(١) كما في سنن ابن ماجه برقم (٣٩٩٣)، عن أنس بن مالك.
وجاء في «مسند أحمد» برقم (١٢٥٠١)، بلفظ: «فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة، قالوا: يا رسول الله مَنْ تلك الفرقة؟ قال: الجماعة، الجماعة».
قال الشيخ شعيب الأرنؤوط (١٢ / ٤٦٢): «صحيح بشواهده، وهذا إسناد ضعيف. ابن لهيعة سيء الحفظ، ورواية سعيد بن أبي هلال عن أنس مرسلة».
وجاء في «مسند أحمد» برقم (١٢١٤٧) بلفظ: «وأنتم تفترقون على مثلها كلها في النار إلا فرقة». وقال الشيخ شعيب (١٩ / ٤٦٢): «صحيح بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف النميري».

(٢) أخرجها الترمذي في «جامعه» برقم (٢٧٧٨) من حديث عبدالله بن عمرو وقال: «حديث حسن غريب، مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه». كما في «تحفة الأحوذي» (٧ / ٣٣٢). وأخرجه الحاكم في «مستدركه» (١ / ٣٣٦)، وقال: تفرد به عبدالله بن زيد الإفريقي لا تقوم به الحجة».
وعندما رجعت إلى «تحفة الأشراف» للحافظ المزي (٦ / ٣٥٤) ـ وهو قد اعتمد نسخة موثقة من «جامع الترمذي» ـ وجدته قد قال: «غريب، وليس فيه لفظ حسن. وقد جاء بلفظ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، وقد أخرجها الطبراني في «معجمه الصغير» من حديث أنس (ص ٢٦٧)، وقال: لم يروه عن يحيى بن سعيد الأنصاري إلا عبدالله بن سفيان.
قال العقيلي: في «الضعفاء» (٢ / ٢٦٢): «عبدالله بن سفيان الخزاعي واسطي لا يتابع على حديثه.. ثم ذكر حديثه هذا، فقال: وليس له من حديث يحيى بن سعيد أصل، وإنما يعرف هذا الحديث من حديث الإفريقي».
وأخرجها كذلك الطبراني في «معجمه الكبير» (٨ / ١٥٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٥١٤): «فيه كثير بن مروان الفلسطيني وهو ضعيف جداً».

(٣) أخرجها ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٨)، والطبراني في «الأوسط» وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٥١٢): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه أبو غالب وثقه ابن معين، وغيره، وبقية رجال الإسناد ثقات، وكذا أحد إسنادي الكبير. وهو في «معجم الطبراني الكبير» برقم (٨٠٥١، ٨٠٥٢، ٨٠٥٣، ٨٠٥٤).

المبعوث إلى العالم كافة مبشراً ومنذراً، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّـرًا وَنَـذِيرًا ﴾[1]. فقد كان النبي ﷺ رحمة للعالمين، ما ترك خيراً إلا بينه ودلنا عليه، ولا غادر شراً إلا حذرنا منه، وحذرنا من المهالك قبل وقوعها، وبيَّن فيها موطن الداء، كما دلنا على العلاج والدواء.

وعليه فالذي أراه في مفهوم الحديث، هو ما يأتي: يحذر النبي ﷺ في هذا الحديث أمته من مخاطر اتباع اليهود والنصارى في تفرقهم، واختلافهم في الدين، وينهاهم عن هذه الأفعال الشنيعة التي كانت سبباً من أسباب طردهم وبُعدهم، وهذا من كمال رحمة النبي ﷺ بأمته، ومحبته لها، وشفقته عليها.

وقد اتبع في هذا التحذير أسلوباً تربوياً بليغاً، وهو النهي عن أمر من الأمور بأسلوب الإخبار عنه كأنه حقيقة واقعة. ففي الحديث محذوف مقدر يفسره ذكر تفرق اليهود والنصارى قبله ومعناه: وتتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، إن هي اتبعت سنن اليهود والنصارى في تفرقهم واختلافهم، وأحذرهم من هذا الفعل الشنيع وأنهاهم عنه.

ويدل على الحذف المقدر دليل خارجي وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾[3]. والمقصود من ذكر العدد هنا الكثرة لا الحصر كما ذهب إلى ذلك بعض المحققين.

وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ، فقد وقع ما أخبر به، والمطلوب من المسلمين الأخذ بالدواء النافع الذي وصفه ﷺ لأمته، حتى يخرجوا من حالة الافتراق والتنازع إلى الوحدة والتوادد، وإلا فالمصير المعروف وهو مذكور في

---

(١) سورة الفتح: آية ٨.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٥.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

القرآن: ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾[1].

وكان الناس أولاً أمة واحدة مجتمعة متعاونة، ذلك لما كانوا على التوحيد، وقد اختلفوا لما وقع بينهم الشرك والبغي، فأرسل الله النبيين ليعيدوا الناس إلى دين التوحيد والحق الذي كانوا عليه قبل الاختلاف. فلما مات الأنبياء، وتوافرت أسباب الاختلاف، وزالت موانعه، وقعوا فيه مرة أخرى.

ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَـٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾[2].

كما ثبت عن رسول الله ﷺ أن في أمته من يسير سيرة اليهود والنصارى ويتبع سننهم. ففي الصحيحين: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة[3] بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!»[4].

فإخبار النبي ﷺ بوقوع الافتراق، واتباع طوائف من هذه الأمة سنن الأمم الهالكة من قبل حتى لا يبقى على السنة إلا طائفة واحدة، يدل عليه دليل

---

(١) سورة الأنفال: آية ٤٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٢١٣.

(٣) القذة: بالضم، ريشة السهم. وقوله: حذو القذة بالقذة... كناية عن التشابه والتتابع، ويُضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. [ابن منظور. «لسان العرب» (٤ / ٥٠٣) قذذ].

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم». رقم الحديث (٧٣١٩).

خارجي وهو تحذيرٌ من سلوك سبيل أهل الأهواء، والاستجابة لدعاة الضلالة والبدع، وأمرٌ بالاعتصام بحبل الله ولزوم الجماعة وترك الفرقة. وقد ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة مواضع كثيرة تأمرنا بالاعتصام بحبل الله ولزوم الجماعة وترك الفرقة، وسأذكر طرفاً منها للذكرى:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

٢ ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[٢]. قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، «يعني في دينكم، كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم»[٣].

٣ ـ أما الأمر بلزوم الجماعة، فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية». متفق عليه[٤].

٣ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىءٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من دينه التارك للجماعة». أخرجه البخاري[٥].

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٤ / ١٥١).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٧٢٤)، ومسلم برقم (٤٧٦٧).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الديات، وقول الله تعالى: ﴿من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾، باب إذا قتل بحجر أو بعصا، رقم (٦٤٨٨).

من الطاعة، وفارق الجماعة، ومات؛ مات ميتة جاهلية». رواه مسلم[1].

٥ ـ وعن عرفجة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون هَنات[2] وهَنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف، كائناً من كان». رواه مسلم[3].

٦ ـ وعن عرفجة رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركُم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم؛ فاقتلوه». أخرجه مسلم، وأبو داود والنسائي[4].

٧ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة قيد شبرٍ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». أخرجه أبو داود والحاكم، وصححه[5].

٨ ـ وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: «وأنا

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة. رقم (٤٧٦٣ و٤٧٦٥)

(٢) ستكون هنات وهنات: الهنات جمع هنة، وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة. النووي. «المنهاج شرح صحيح مسلم» (١٢ / ٤٤٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧٧٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٧٦٢)، والنسائي برقم (٣٠٣٢).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم (٤٧٧٣). وأبو داود في «سننه» كتاب: السنة، رقم (٤٧٦٢)، والنسائي في «سننه»، كتاب: تحريم الدم، باب: قتل من فارق الجماعة، رقم (٣٠٣٢ و٤٠٣٣، ٤٠٣٤).

(٥) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب: السنة، رقم (٤٧٥٨). والحاكم في «المستدرك» (١ / ٢٠٣)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد حدث به الحجاج بن محمد أيضاً عن الليث ولم يخرجاه».

آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب[1].

٩ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي ـ أو قال: أمة محمد ﷺ ـ على ضلالة، ويد الله على الجماعة». رواه الترمذي والحاكم[2].

١٠ ـ وأمر رسول الله ﷺ بملازمة السواد الأعظم، فقال: «إن أمتي لا تجتمع على الضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً، فعليكم بالسواد الأعظم»[3].

كل هذه الأدلة تتفق مع حديث افتراق الأمة من حيث المعنى والغاية، بل تكون دليلاً على ثبوته عن رسول الله ﷺ. . .

والله تعالى أعلم وأحكم.

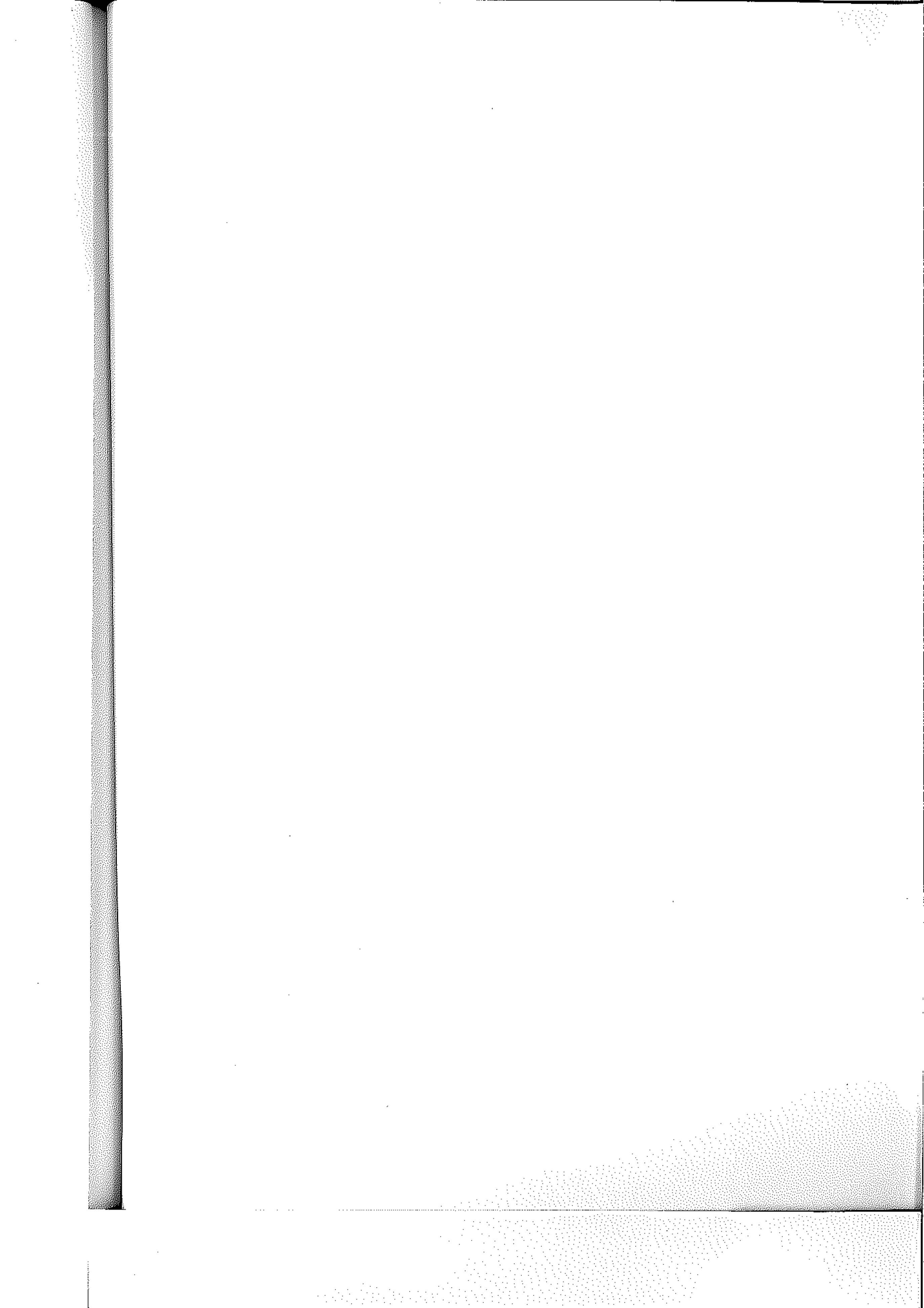
* * * * *

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب: الأمثال، باب: ما جاء في مثل الله لعباده، رقم (٢٨٦٣).

(٢) الترمذي برقم (٢١٦٦)، والحاكم (١ / ٣١٦، ٣١٩) بروايات متعددة.

(٣) أخرجه ابن ماجه عن أنس (٤ / ٣٢٧).



المبحث الخامس

حول حديث النبي ﷺ

«خلقت المرأة من ضلع...»

أولاً: تخريج الحديث:

١ ـ عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلعٍ لن تستقيم لكَ على طريقة، فإن استمتعتَ بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبتَ تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»[١].

٢ ـ وعن عجلان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة كالضلع، فإن تحرصْ على إقامته تكسِرْهُ، وإن تتركه تستمتع به وفيه عوج»[٢].

٣ ـ وعن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قالَ رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلعٍ، وإنَّ أعوج شيءٍ في الضلعِ أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساءِ»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٩٧٩٥ و١٠٤٤٨ و١٠٨٥٦)، والبخاري في «صحيحه» برقم (٥١٨٤)، ومسلم برقم (١٤٦٨) (٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٩٥٢٤)، وابن حبان برقم (٤١٨٠)، والحاكم (٤ / ٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٣٣١ و٥١٨٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٤٦٨) (٦٠). وأخرجه النسائي في «الكبرى» برقم (٩١٤٠).

٤ـ وعن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة كالضلع، إذا ذهبتَ تُقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج»[١].

ثانياً: معاني مفردات الحديث لغة:

ـ الضِّلع: [مؤنثة ويجوز تذكيرها] قوسٌ عظيمة مسطحة، يؤلف مجموعها القفص الصدريّ.

ـ تستقيم: من قوَّمَ، يُقَوِّمُ، تقويماً المعوج: عدَّله وأزال عوجه.

ـ استمتعتَ: من مَتَعَ، يَمْتَعُ، مُتُوعاً: الشيء بلغَ الغاية. ومثال ذلك متعَ النهارُ أي: ارتفعَ قبل الزَّوال.

ـ عوج: عَوِجَ، يَعْوَجُ، عَوَجاً: العودُ ونحوه، والعِوَجُ: الانحراف وعدم الاستقامة.

ـ كسرتها: من كَسَرَ، يَكْسِرُ، كَسْراً: الشيء هَشَّمَه وفرَّقَ بينَ أَجزائِه.

ـ طلاقها: الطَّلقُ: المطلق غير المقيد، صارَ حرّاً طلقاً بعدَ تبرئته من الشيء. والطَّلقةُ: المرَّة من الطَّلْقِ أو الطلاق أو الإطلاق.[٢].

ثالثاً: شرح مفردات الحديث، وبيان معناه:

ـ «إنهنَّ خلقنَ من ضِلعٍ».

بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام وقد تسكن.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٤٦٨) (٦٥)، وأخرجه الترمذي (١١٨٨). وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي ذر، وسمرة، وعائشة..

(٢) أديب اللجمي وآخرون. المحيط. بيروت ١٩٩٤. ط٢. المجلد٢. الصفحات على التوالي: (٨٠٣، ١٠٩٣، ٨٩١، ١٠٣٠، ٨٢١، ٨٢٢).

وقالَ بعض الفقهاء إن معناه: أن النساء خلقنَ في أصل خلقهن من شيء معوج، وهذا لا يخالف الحديث الماضي من تشبه المرأة بالضلع، بل يستفاد من هذا نكتة التشبيه، وأنها عوجاء مثله لكون أصلها منه.

ـ «إن أعوج شيء في الضلعِ أعلاه».

ذكرَ ذلك تأكيداً لمعنى الكسر، لأن الإقامة أمرها أظهر في الجهة العليا، وإشارة إلى أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع مبالغة في إثبات هذه الصفة لهن، ويحتمل أن يكون ضربَ ذلك مثلاً لأعلى المرأة، لأن أعلاها رأسها، وفيه لسانها، وهو الذي يحصل منه الأذى، واستعملَ أعوجَ، وإن كان من العيوب، لأنه أفعل للصفة، وأنه شاذ، وإنما يمتنع عند الالتباس بالصفة، فإذا تميزَ عنه بالقرينة جازَ البناء.

ـ «فإن ذهبت تقيمه كسرته».

الضمير للضلع، لا لأعلى الضلع، ويحتمل أن يكون للمرأة ويؤيده قوله بعده: وإن استمتعتَ بها، ويحتمل أن يكون المراد بكسرها: الطلاق.

ـ «إن تركته لم يزل أعوج».

أي إن لم تقمه.

ـ «فاستوصوا»: أي أوصيكم بهنَّ خيراً، فاقبلوا وصيتي فيهنَّ واعملوا بها.

ـ «النساءِ خيراً».

كأنَّ فيه رمزاً إلى التقويم برفق، لقوله تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...﴾، فيؤخذ منه، أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها، أو ترك الواجب، وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة.

وفي الحديث: الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب، وفيه سياسة للنساء بأخذ العفو فيهنَّ، والصبر على عوجهنَّ، وأن من رام تقويمهنَّ فاته الانتفاع بهنَّ، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها، ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها[١]. وفي هذا الحديث: ملاطفة النساء والإحسان إليهنَّ، والصبر على عوج أخلاقهنَّ، واحتمال ضعفِ عقولهنَّ، وكراهة طلاقهنَّ بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها، ويحث النبي ﷺ على الرفق بالنساء، واحتمالهنَّ[٢]، ولا يفركهنَّ، لأنه إن كره منهنَّ خلقاً رضي بالآخر، والغالب على النساء قلة الرضا والصبر، فهنَّ ينشزنَ على الرجال كثيراً، ويكفرن العشير، فلذلك سمى رسول الله ﷺ المنتزعات أنفسهنَّ من النكاح والمخالعات منافقات، والنفاق كفر، فهذا اللفظ يعضد لفظ الحديث الصحيح في نسبتهنَّ إلى كفران العشير[٣].

فهم خاطىء للحديث وتصحيحه:

ذكر بعض الفقهاء أن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٤]. وقوله ﷺ أنها خلقت من ضلع، لكن في بعض روايات الحديث: «المرأة كالضلع»، وفيه دليل على أن المراد تشبيه المرأة بالضلع في العوج، لا أنها خلقت منه. . .

رابعاً: طبع الأنثى وما يذم من عشرة النساء:

إن الغرائز المختلفة التي تعلل محاسن المرأة، تعلل لنا نقائصها التي

---

(١) ابن حجر العسقلاني. «فتح الباري». بيروت ١٩٨٥. ط٣. ج٩. ص٢٠٧.
(٢) النووي. «شرح صحيح مسلم». بيروت ١٩٩٤. ط١. ج١. (ص ٤٦).
(٣) ابن العربي المالكي. «عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي». بيروت ١٩٩٥. ط١. ج٥. (ص ١٦٠).
(٤) سورة النساء: آية ١.

تعاب عليها من بعض جهاتها، وقد لخصها المتنبي، ولخصَ ما قيل في معناها حيثُ قال:

فمن عهدها ألا يدوم لها عهد...

فهي تتقلب، وتراوغ، وترائي، وتكذب، وتحزن، وتميل مع الهوى، وتنسى في لحظة واحدة عشرة السنين الطوال.

ولا بُدَّ من التناقض في طبع الأنثى، لأنها شخصية حية خاضعة للمؤثرات التي تتناولها من عدة جهات.

إن الصفة التي وصفت بها المرأة في القرآن هي صفتها على طبيعتها التي تحيا بها مع نفسها ومع ذويها.

لقد جاءَ وصف النساء بالكيد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، مرتين على لسان يوسف عليه السلام، ومرة على لسان العزيز في سورة يوسف.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[3].

والكيد صفة مذكورة في مواضع كثيرة من القرآن، بعضها منسوب إلى الإنسان، وبعضها منسوب إلى الشيطان.

ومن الرجال الذينَ نسبت إليهم صالحون مؤمنون، ومنهم كفرة

---

(١) سورة يوسف: آية ٣٣.

(٢) سورة يوسف: آية ٥٠.

(٣) سورة يوسف: آية ٢٨.

مفسدون، بل وردت وصفاً لله تعالى، مع المقابلة بين الكيد الإلهي وكيد المخلوقات، وبغير مقابلة في الآيات، ويدخل في الكيد صفات كثيرة تمدح وتذم، وتطلب وتمنع، وتشترك كلها في معاني التدبير والمعالجة والحيلة.

وقد يجمع الحميد والذميم منها قولهم: «الحرب مكيدة»، لأنها تدبير ومعالجة وحيلة تتطلبها مواقف القتال.

وقد تذم أحياناً في هذه المواقف، كما تذم في سواها... وإنَّ الكيد الذي وصفت به امرأة العزيز وصاحباتها في سورة يوسف، هو كيد يعهد في المرأة ولا ينسب إلى غيرها، أو هو كيدهنَّ الذي به يتسمن، ويصدر عن خلائقهن وطبائعهنَّ، كما يفهم من الإضافة المتكررة في الآيات الثلاث.

ويدل عليه عمل امرأة العزيز فيما غشت به زوجها، واحتالت له من مراودة غلامها عن نفسه، ثم من اتهامه بمراودتها، وتنصلها من فعلها، وكلها أعمال تتلخص في «الرياء»، أو في إظهار غير ما تبطنه واحتيالها للدس و«الإخفاء»[1].

خامساً: أهم ما يتضمنه الحديث:

١ ـ توصية عامة بالنساء في قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء»، وقيل معناه: تواصوا بهنَّ، والباء للتعدية والاستفعال، بمعنى الإفعال، كالاستجابة، بمعنى الإجابة.

٢ ـ تعليل هذه الوصية بأمر يتصل بخلقة المرأة، وذلك في قوله ﷺ: «فإن المرأة خلقت من ضلعٍ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه»، فهي أولاً متميزة عن خلقة الرجل، ثم إن بها بعض عوج، والرسول ﷺ لم يبين مجال هذا العوج ولا مداه، وإنما أشارَ إلى أثر العوج الخلقي في بعض سلوك المرأة مما

---

(١) أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي. «طبائع النساء». القاهرة ١٩٨٥. لا ط. (ص ١٤٤).

يضيق به الرجل. فهل يمكن البناء على الواقع المشاهد، أن نفسر العوج بسرعة الانفعال وشدته، أو بفرط الحساسية أو بتقلب المزاج؟ والعوج أصلاً يقابل الاستقامة، فإذا كان اتزان الانفعال وضبطه استقامة فإن سرعة الانفعال وشدته عوج، وإذا كانَ ضبط الإنسان لعواطفه استقامة، فغلبة العاطفة عليه عوج.

٣ ـ توجيه الرجل إلى الصبر على ما يصدر من المرأة من سلوك مبعثه ذاك (العوج)، وذلكَ قوله ﷺ: «وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها». وعلى الرجل أن يتذكر أنها لا تتعمد هذا السلوك لمضايقة الرجل وإحراجه، وإنما هو نتيجة ما قدره الله على المرأة من طبيعة خاصة تتميز بسرعة الانفعال وشدته، فليصبر، وليكن سمحاً كريماً، وليعلم أن هذه الخاصية من خصائص المرأة يمكن أن يكون لها أثر طيب في إقدارها على أداء مهمتها الأساسية، من حمل وإرضاع وحضانة، إذ تحتاج إلى عاطفة بالغة وحساسية مرهفة.

٤ ـ أن يعلم الرجل أنه إذا حاولَ الوقوف على كل خطأ من زوجه ـ نتيجة انفعالها البالغ ـ مؤاخِذاً ومعاتباً، فإن هذا لن يسفر عن شيء سوى مزيد من التباعد والشقاق، ثم يقع الفراق والطلاق.

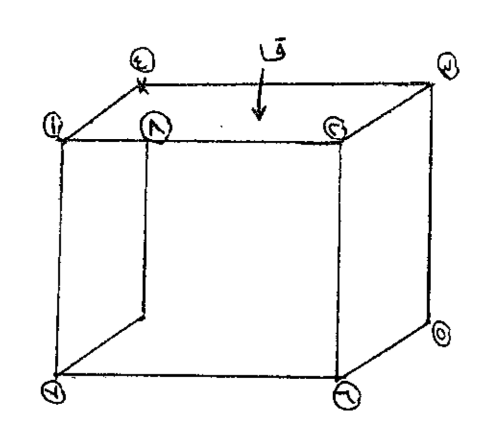
٥ ـ ليذكر الرجل أن لزوجته من الفضائل والمحاسن ما قد يعوض هذا العيب، وصدق رسول الله ﷺ في قوله الحكيم، الذي فيه علاج عندما يبدر من المرأة ما يبدر: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر».

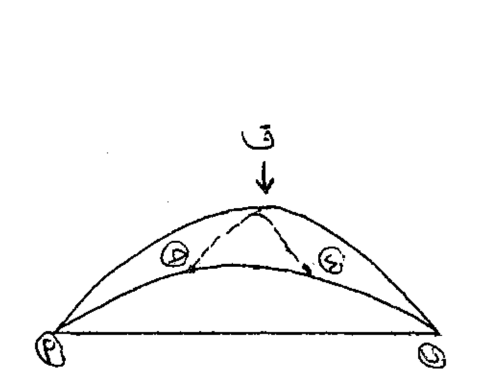
٦ ـ لتأكيد الرفق بالنساء يختم الرسول ﷺ حديثه بقوله: «فاستوصوا بالنساء»، تماماً كما بدأه ﷺ. وفي شرح هذا القول قال الطيبي: «السين في قوله: «فاستوصوا» للطلب، وهو: للمبالغة، أي: اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهنَّ، أو اطلبوا الوصية من غيركم بهنَّ... وقيل: معناه: اقبلوا وصيتي فيهنَّ واعملوا بها، وارفقوا بهنَّ، وأحسنوا عشرتهنَّ». قال الحافظ ابن حجر: «وهذا ـ القول الأخير ـ أوجه الأوجه في نظري، وليس مخالفاً لما قالَ

الطيبي»[١].

ولا بأس أن نعرض هذه القضية من الناحية الهندسية بما يأتي:

الضلع الأعوج هندسياً:

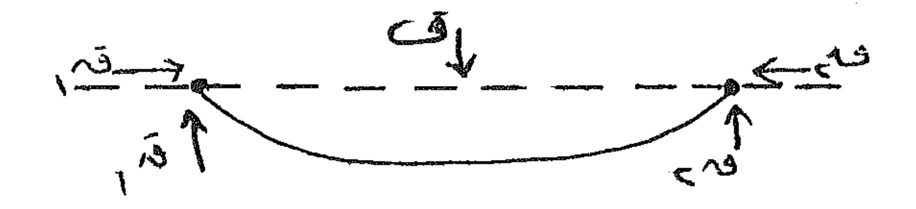




لو فرضنا أن كلا الشكلين لهما نفس مسطح المساحة، وأنه عند تأثير قوة على كلا الشكلين، وإن هذه القوة عملت ضغطاً محدداً، فإنه من الملاحظ أنَّ الشكل المنحني يتحمل أكثر من الشكل المكعب بهذه القوة، فإنه تتولد قوى مضاربة ومعاكسة عند المفاصل (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨)، أي عندَ جميع الزوايا، وتكون القوى التي تتشكل عند المفاصل (١، ٢، ٣، ٤) هي قوى لها تأثير سلبي نوعاً ما، خاصة أنها تولد رد فعل معاكس، مما يؤثر على الزمن البعيد على المفاصل، والتي تعتبر نقاط ضعف في هذا الشكل. وكذلكَ فإنه يحدث انحناء بالسطح كما هو موضح بالشكل.

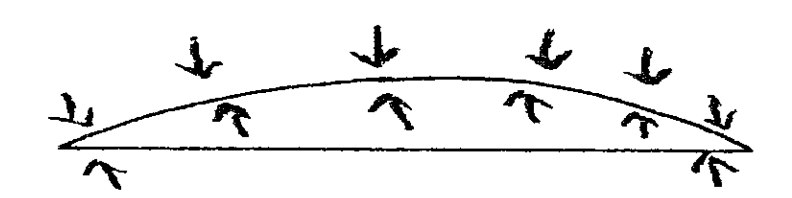
---

(١) عبدالحليم أبو شقة. «تحرير المرأة في عصر الرسالة». الكويت ١٩٩٠. ط١. ج١.



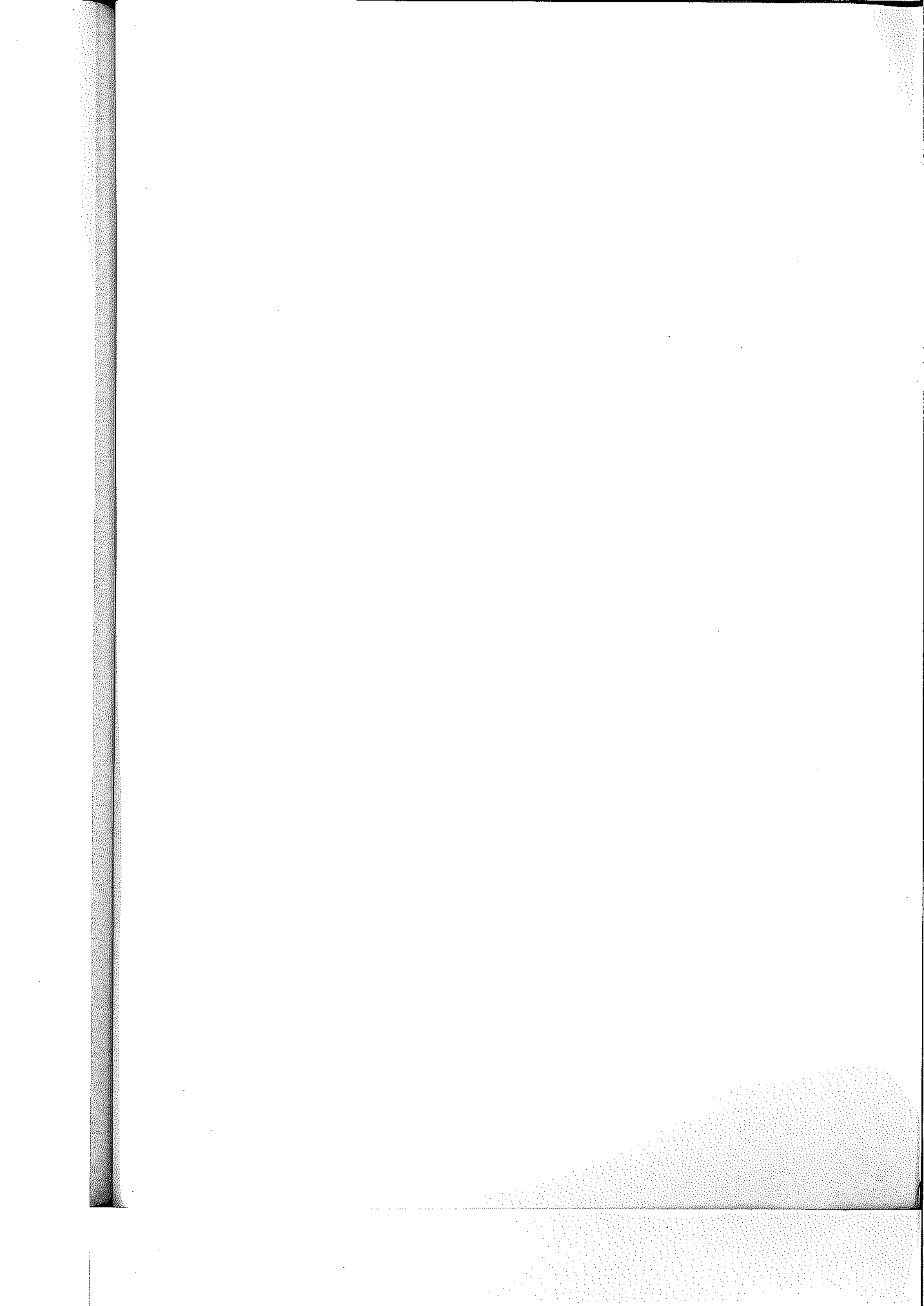
والذي يكون تأثيره مع الزمن كما هو معروف.

أما بالنسبة للشكل المنحني، فإنه عند تأثير هذه القوة على الشكل، فإنه سوف تتشكل قوى معاكسة ومضاربة لتقاوم الضغط المتولد عند النقاط (أ، ب، ج، د)، وذلكَ بسبب أنَّ هذه المفاصل موجودة على الأرض، لذلك فإن تأثير تلكَ القوة على الجسم المنحني يعمل على زيادة تثبيت تلك المفاصل بالأرض، وبالتالي يساعد على استمرار ثبوت الشكل المنحني أمام القوة المؤثرة، وذلكَ بسبب توزيع الضغط المتساوي على الشكل المنتظم.



إذ إنه كذلك تنشأ قوة ضغط داخلية تعاكس وتقاوم الضغط الخارجي وبسبب الشكل الهندسي المنتظم، فإن الضغط الداخلي يكون نوعاً ما مساوياً للضغط الخارجي، مما يقلل من تأثير الضغط المتولد من القوى المؤثرة، مع أن ذلكَ الشيء لا يحدث مع الشكل المستقيم أو المكعب، وذلكَ بسبب عدم الانتظام مع الشكل الهندسي، وعدم توزيع الضغط الداخلي بشكل منتظم، ليقاوم الضغط الخارجي، مما يسبب حدوث الانحناء كما ذكرنا سابقاً.

* * * * *



المبحث السادس
هل ثبت في تحريك الإصبع في التشهد حديث صحيح؟

كثر السؤال في هذه الأيام عن حكمِ تحريكِ الإصبع في التشهد؟ وهل ثبت بذلك حديثٌ صحيح؟

والجوابُ على هذا السؤال يقتضي منا أولاً أن نُفَرِّقَ بينَ أمرين:

الأول: الإشارة بالمُسَبِّحة.

الثاني: استمرارُ تحريكِ الإصبع عند الإشارة بالمسبحة.

أما الإشارة بالمسبحة:

فقد قال الفقهاء إنها مُستحبةٌ للأحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة فيها، ومنها على سبيل المثال:

١ ـ ما جاءَ في «صحيح مسلم»[١] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه، ورفع إصبعه التي تلي الإبهام فدعا بها».

٢ ـ وفي رواية ابن الزبير عن أبيه: «وأشار بإصبعه السَّبَّابة».

---

(١) (٥ / ٧٩).

وجاءَ في «مسند الحميدي»[1]، و«صحيح مسلم»[2] مختصراً:

عن علي بن المعاوي قال: «صليتُ إلى جنبِ ابنِ عمر... وفيه: وضَمَّ أبو بكر ثلاثَ أَصابعَ ونصب السبابة...».

وجه الدلالة: فهذه الروايات الصحيحة: «رفع إصبعه التي تلي الإبهام فدعا بها»، «أشار بإصبعه السبابة»، «نصب السبابة»... تبين بوضوح أنَّ السنة نصب الإصبع مشيراً به، وليس فيها ما يدل على التحريكِ البتة، ولهذا لم نجد أحداً من العلماء ـ حتى من قال بسنيَّة التحريك ـ مَن استدلَّ بهذه الأحاديث على التحريك.

ويدل على هذا أيضاً ما جاء في «مسند الحميدي»[3] بعد الرواية المتقدمة:

وزاد فيه ـ أي: مسلم بن أبي مريم أحد رواة الحديث ـ: «وهي مذبَّة الشيطان لا يسهو أحد وهو يقول هكذا، ونصب الحميدي إصبعه».

فهذا نص الحميدي (ت ٢١٩هـ)، وهو من شيوخ الإمام البخاري رحمه الله، على أنَّ السنَّة هي نصب الإصبع.

ويؤيد هذا أيضاً ما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله وقد سئل: «هل يشير الرجل بإصبعه في الصلاة؟ قال: نعم شديداً».

وأَنتَ ترى أنَّ جواب الإمام أحمد إنما هو عن الإشارة في الصلاة، وليس عن تحريك الإصبع فينبغي التنبّه لذلك.

ولعلَّ سائلاً يسأل: ما هي الحكمة من هذه الإشارة بالإصبع في التشهد؟

---

(١) (٢ / ٢٨٨).
(٢) (٥ / ٨١).
(٣) (١ / ٢٨٨).

أجاب عن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، فقد جاء في «سنن البيهقي»[١]: عن ابن عباس أنه سئل عن الرجل يدعو يشير بإصبعه؟ فقال: «هو الإخلاص».

ومن هنا قال الإمام النووي رحمه الله: «ويشير بها موجهةً إلى القبلة، وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص»[٢].

وكذلك قال الصنعاني:

«وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص فيه فيكون جامعاً في التوحيد بين الفعل والقول والاعتقاد، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الإشارة بالإصبعين، وقال: «أَحِّد أَحِّد» لمن رآه يشير بإصبعيه»[٣].

أما عن استمرار تحريك الإصبع:

فهذه مسألة أخرى ينبغي أن يبحث عن دليلٍ لها من السنة النبوية فإن صَحَّ الحديثُ فما على المسلم إلا اتباعه.

وقبل أن أبدأ بالكلام عن هذه المسألة أحبُّ أنْ أُمَهِّدَ تمهيداً أُبَيِّنُ فيه ما هو الحديث الصحيح؟ وما هي شروطه؟

الحديث الصحيح هو: ما اتصل سنده، بنقل العدل، التام الضبط عن مثله إلى منتهاه، وسلم من الشذوذ والعلة.

فشروط الحديث الصحيح إذن:

١ ـ اتصال السند.

٢ ـ وعدالة الرواة.

---

(١) (١ / ١٤٨).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٥ / ٨٢).

(٣) انظر «سبل السلام» (١ / ١٣٩).

٣ ـ وضبطهم.

٤ ـ والسلامة من الشذوذ.

٥ ـ والسلامة من العلة.

ونقفُ عند الشرط الرابع: السلامة من الشذوذ، لأن ذلك سينفعنا في نهاية بحثنا:

ما معنى أن يكون الحديث شاذاً؟

قال الحافظ السخاوي[1]: «الشاذ لغةً: المنفرد عن الجمهور، واصطلاحاً: ما رواه الثقة أو الصدوق مخالفاً لمن هو أرجح منه لمزيد ضبط أو كثرة عدد».

لماذا؟ «لأن العدد الكثير أولى بالحفظ من الواحد، وهو مُشْعرٌ بأنَّ مخالفته للواحد الأحفظ كافية في الشذوذ». انتهى مع زيادة إيضاح مني.

ومن المعلوم أن الحديث إذا كان شاذاً؛ كان قسماً من أقسام الضعيف الذي لا تثبُتُ به سنة...

فهل الحديث الذي ورد في تحريك الإصبع تتوافر فيه جميع شروط الصحة؟

هذا ما سنعلمه بعد قليل...

استدلَّ من ذهبَ إلى سُنِّيةِ استمرار تحريكِ الإصبع بحديث وائل بن حجر الذي أخرجه أحمد في «مسنده»[2]، وابن خزيمة في «صحيحه»[3]، وابن

---

(١) انظر «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» (١ / ٢٣٠).
(٢) (٤ / ٣١٨).
(٣) (٧١٤).

حبان في «صحيحه»[1] من طريق زائدة بن قدامة، حدثنا عاصم بن كليب، حدثنا أبي، عن وائل بن حجر. . الحديث وفيه:

«وعقد ثنتين من أصابعه، وحلَّق حلقة، ثم رفع إصبعه، فرأيته **يحركها** يدعو بها».

فهذا إسناد صحيح، ولكن لفظة **يحركها** شاذة انفرد بها زائدة بن قدامة من بين أصحاب عاصم بن كليب، وهم[2]:

١ ـ سفيان الثوري عند عبدالرزاق في «المصنف»[3].

وفيه: «. . .وأشار بسبابته، ووضع الإبهام على الوسطى، حلَّقَ بها. .».

٢ ـ وسفيان بن عيينة عند أحمد[4]، والحميدي[5]، والنسائي في «سننه»[6].

وفيه: «. . . وحلق حلقة، ودعا هكذا، وأشار سفيان بإصبعه السبابة».

٣ ـ خالد بن عبدالله الواسطي عند البيهقي[7].

وفيه: «. . . ثم عقد الخنصر والبنصر، ثم حلق الوسطى بالإبهام، وأشار بالسبابة».

---

(١) (٤٨٥).

(٢) انظر «المنهج الصحيح في الحكم على الحديث النبوي» للأستاذ عادل مرشد (ص ٢٦) بتصرف وزيادة.

(٣) برقم (٢٥٢٢).

(٤) في «مسنده» (٤ / ٣١٨).

(٥) في «مسنده» برقم (٨٨٥).

(٦) (٣ / ٣٤).

(٧) (٢ / ١٣١).

٤ ـ قيس بن الربيع عند الطبراني[١].

«وفيه: «وحلق بالوسطى والإبهام، وأشار بالسبابة يدعو بها».

٥ ـ أبو الأحوص سلام بن سليم عند الطيالسي[٢]، والطبراني[٣].

وفيه: «. . . وجعل يدعو هكذا بالسبابة يشير بها». وفيه تفسير الدعاء بالإشارة.

٦ ـ شعبة عند أحمد[٤]، وابن خزيمة[٥].

وفيه: «. . . ورفع السبابة يدعو بها».

٧ ـ عبدالله الأودي عند ابن ماجه[٦].

وفيه: «. . . قد حلق الإبهام والوسطى، ورفع التي تليهما، يدعو بها في التشهد».

٨ ـ زهير بن معاوية عند أحمد[٧]، والطبراني[٨].

وفيه: «. . . وقبض ثنتين، وحلق حلقة ثم رأيته يقول: هكذا، وأشار زهير بسبابته الأولى. . .».

٩ ـ أبو عوانة عند الطبراني[٩].

---

(١) (٢٢ / ٧٩).

(٢) برقم (١٠٢٠).

(٣) (٢٢ / ٨٠).

(٤) في «مسنده» (٤ / ٣١٦، ٣١٩).

(٥) برقم (٦٩٧).

(٦) برقم (٩١٢).

(٧) في «مسنده» (٤ / ٣١٥).

(٨) في «معجمه الكبير» (٢٢ / ٨٤).

(٩) في «معجمه الكبير» (٢٢ / ٩٠).

وفيه: «. . . وقال هكذا، وأشار أبو عوانة بإصبعه السبابة. . .».

١٠ ـ عبدالواحد العبدي عند أحمد[١].

وفيه: «وعقد ثلاثين، وحلق واحدة، وأشار بإصبعه السبابة».

١١ ـ بشر بن المفضَّل عند النسائي[٢].

وفيه: «. . . وقبض ثنتين، وحلق حلقة ورأيته يقول: هكذا، وحلق بشر الإبهام والوسطى، وأشار بالسبابة».

١٢ ـ وشجاع بن الوليد. عند الخطيب في «الفصل للوصل»[٣] ولفظه مثل لفظ زهير بن معاوية.

فهؤلاء الثقات الأثبات من أصحاب عاصم رووا حديث وائل بن حجر، ولم يذكروا الذي انفرد به زائدة، وهذا من أبين الأدلة على وهم زائدة، في إيراد لفظة (يحركها) في نص الحديث، وعليه فلفظة **يحركها** لفظة شاذة أي ضعيفة لا تثبُت بها سنة، ويؤيد هذا قول ابن رشد المالكي في «بداية المجتهد»[٤]:

«واختلفوا في تحريك الإصبع لاختلاف الأثر في ذلك، والثابتُ أَنه كان يشير فقط».

وأما الإمام البيهقي فقد فسر التحريك المذكور في رواية زائدة بالإشارة. قال في «السنن الكبرى»[٥]:

---

(١) في «مسنده» (٤ / ٣١٦).
(٢) في «سننه» (٣ / ٣٥).
(٣) (٢ / ٤٥٢).
(٤) (١ / ١٠٧).
(٥) (١ / ١٣٢).

«فيحتمل أن يكون المراد بالتحريك الإشارة بها لا تكرير تحريكها فيكون موافقاً لرواية ابن الزبير».

اعتـراض:

وقد يقول قائل: ولماذا تقول: إن هذه الزيادة «يحركها» شاذة، أوليس الذي زادها ـ وهو زائدة بن قدامة ـ ثقة؟ وإذا كان ثقة، فلماذا لا نعدها زيادة ثقة؟ ومن ثمَّ نقبلها بناء على قاعدة قبول زيادة الثقة؟

والجواب على هذا:

أن القول بقبول زيادة الثقة ليس بمسلَّم، فنحن نعلمُ أَن هناك اختلافاً كبيراً بين المحدثين والفقهاء في هذه المسألة، وقد اختلف العلماء فيها على عدة أقوال، أهمها ما يأتي:

أولاً: قبولها مطلقاً.

وعزا الخطيب البغدادي ذلك إلى جمهور الفقهاء وأصحاب الحديث كابن حبان والحاكم، وجرى عليه النووي في مصنفاته، وهو ظاهر تصرف مسلم في «صحيحه»[1].

قال الخطيب: «ويدل أيضاً على صحة ما ذكرناه أن الثقة العدل يقول: سمعتُ وحفظت ما لم يسمعه الباقون، وهم يقولون: ما سمعنا ولا حفظنا، وليس ذلك تكذيباً له، وإنما هو إخبار عن عدم علمهم بما علمه، وذلك لا يمنع علمه به، ولهذا المعنى وجبَ قبولُ الخبرِ إذا انفرد به دونهم. . .».

وأُجيبُ على هذا:

---

(١) انظر «الكفاية» (٥٩٧)، و«فتح المغيث» (١ / ٢٠٠)، و«شرح علل الترمذي» (١ / ٤٥٦)، وغير ذلك.

بأن هناك فرقاً بين تفرد الراوي بالحديث من أصله، أو بين تفرده بالزيادة؛ فإن تفرده بالحديث لا يتطرق نسبة السهو والغفلة إلى غيره من الثقات، إذ لا مخالفة في روايته له، بخلافِ تفرده بالزيادة إذا لم يروِها مَن هو أتقن منه حفظاً، أو أكثر عدداً، فإن الظن غالبٌ بترجيحِ روايتهم على روايته، ومبنى الأمر على غلبة الظن[1].

وقد ناقش هذه المسألة الحافظ ابن حجر، واستغربَ القولَ القائلَ بقبولها مطلقاً فقال رحمه الله: واشتهر عن جمع من العلماء القول بقبول الزيادة مطلقاً من غير تفصيل، ولا يتأتىٰ ذلك على طريق المحدثين الذين يشترطون في الصحيح أن لا يكون شاذاً، ثم يفسرون الشذوذ بمخالفة الثقة مَنْ هو أوثق منه، والعجب ممن أغفل ذلك منهم مع اعتراضه باشتراط انتفاء الشذوذ في حد الصحيح وكذا الحسن والمنقول عن أئمة الحديث المتقدمين كعبدالرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والبخاري، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والنسائي، والدارقطني وغيرهم اعتبار الترجيح فيما يتعلق بالزيادة، وغيرها، ولا يعرف عن أحد منهم إطلاق قبول الزيادة[2].

ثانياً: لا تقبل مطلقاً.

حكاه الخطيب في «الكفاية»[3] عن قوم من المحدثين، وابنُ الصباغ في «العدة»، ودليلهم في ذلك كما قال الإمامُ أبو بكر الأبهري: «أنَّ تركَ الحفاظِ لنقلها، وذهابَهم عن معرفتها يُوهِنُها، ويُضعِفُ أَمرها، ويكون معارضاً لها...

(١) انظر «توضيح الأفكار» للصنعاني (٢ / ١٧).
(٢) انظر «شرح النخبة» له (ص ٤٥).
(٣) (ص ٥٩٧).

وليست كالحديث المستقل إذ غير ممتنعٍ في العادة سماع واحد فقط للحديث من الراوي، وانفراده به، ويمتنع فيها سماع الجماعة ـ أي في العادة ـ لحديث واحد، وذهاب زيادة فيه عليهم، ونسيانهم إلا الواحد . . .»[1].

فأنت ترى أن القول بقبول زيادة الثقة مطلقاً عند القائلين به ليس على إطلاقه، بل يشترط عدم المخالفة للرواية والرواة كما هو ظاهر من تقرير ابن حجر، وفي مسألتنا بحثتُ كثيراً عن متابعاتٍ للزيادة التي انفرد بها زائدةُ ـ وهي لفظة التحريك ـ فلم أجد، بل وجدت عدداً من الرواة تجاوز عددهم العشرة، وهم ممن روى الحديث عن عاصم بن كليب، لم يرووا لنا هذه الزيادة وخالفوا زائدة فيما ذهب إليه، أفتغيبُ عن هذا العدد الكثير من الرواة الثقات، ويحفظها واحد؟!

ثم بحثتُ عن شواهد لحديث وائل لعلها تؤيد ما انفرد به زائدة، فرأيت شاهداً يخالف ما زاده زائدة، ولا يؤيده، وهو ما جاء في «سنن أبي داود»: «عن عبدالله بن الزبير أنه ذكر أن النبي ﷺ كان يُشيرُ بإصبعه إذا دعا لا يحركها»[2].

فهذا الحديث شاهد جيد يشهد لحديث وائل بالصحة، ويدل على أن زائدة قد خالف الثقات فعلاً.

---

(١) انظر «فتح المغيث» للسخاوي (١ / ٢٠١).
وقضية «زيادة الثقة» من المسائل التي لم تُبحث، وقد دعوت في رسالتي للدكتوراه «الفصل للوصل المدرج في النقل» إلى دراستها دراسة حديثية، فقهية، أصولية، مع بيان أثرها في اختلاف الفقهاء، وهي من الأبحاث الشائكة لارتباطها وتعلقها بأكثر من علم من علوم الحديث، فلها ارتباط مثلاً بالحديث الشاذ، والمعلّ، والمضطرب، والغريب، والمدرج، والمزيد في متصل الأسانيد . . .

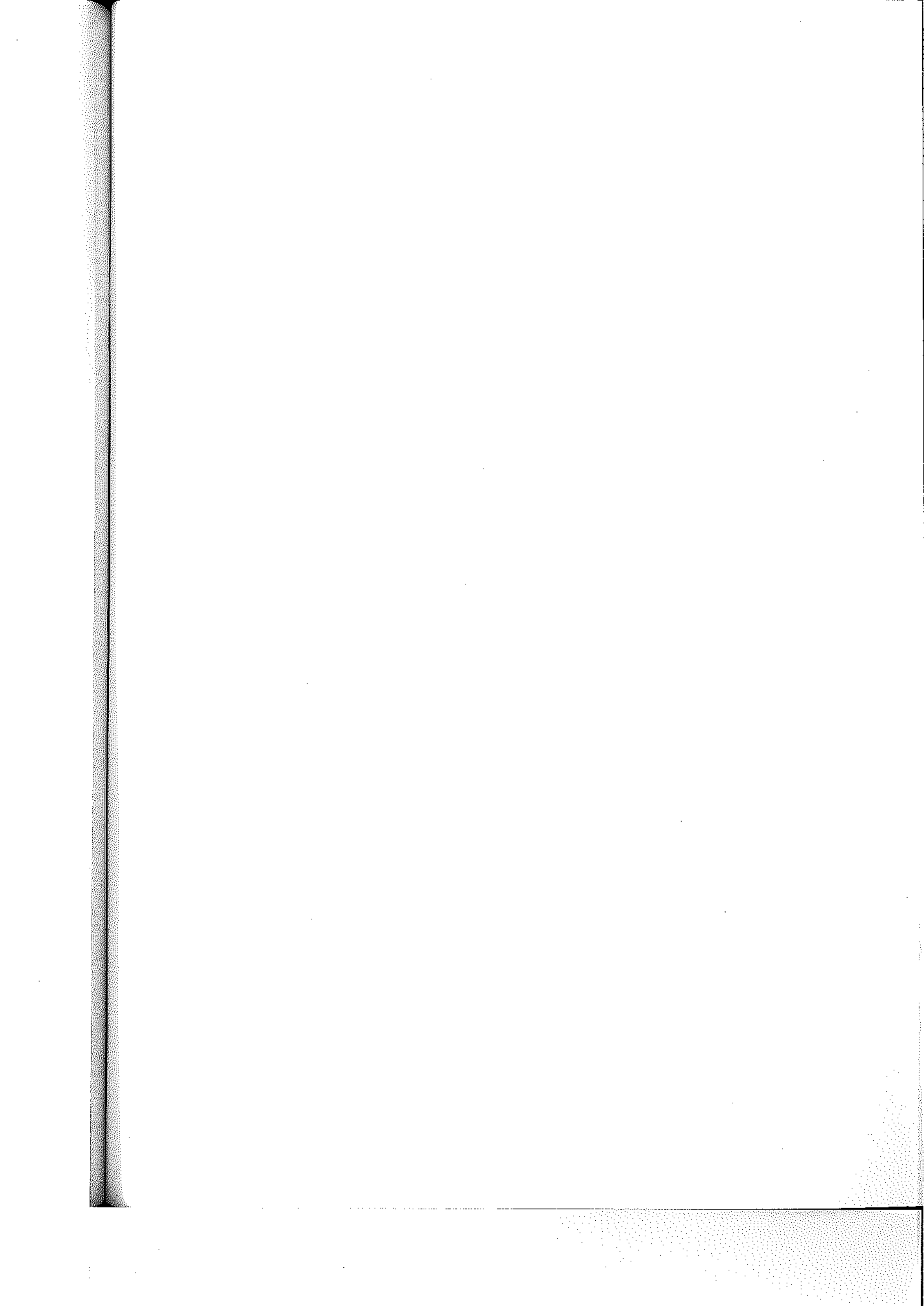
(٢) برقم (٩٨٩)، والنسائي في «سننه» برقم (١٢٧٠)، وفي «السنن الكبرى» (١١٩٣)، ورجاله ثقات.

أثر ذلك في اختلاف الفقهاء:

وبعد فمهما قيل في مناقشة حديث وائل قبولاً أو ردّاً؛ فإنه يبقى نموذجاً واضحاً على أن التصحيح والتضعيف أمر اجتهادي، وله أثر في اختلاف الفقهاء.

ورحم الله العلامة ابن رشد المالكي عندما قال: «واختلفوا في تحريك الإصبع لاختلاف الأثر في ذلك، والثابت أنه كان يشير فقط».

* * * * *



الفصل الثاني
قضايا طبية وتربوية واجتماعية

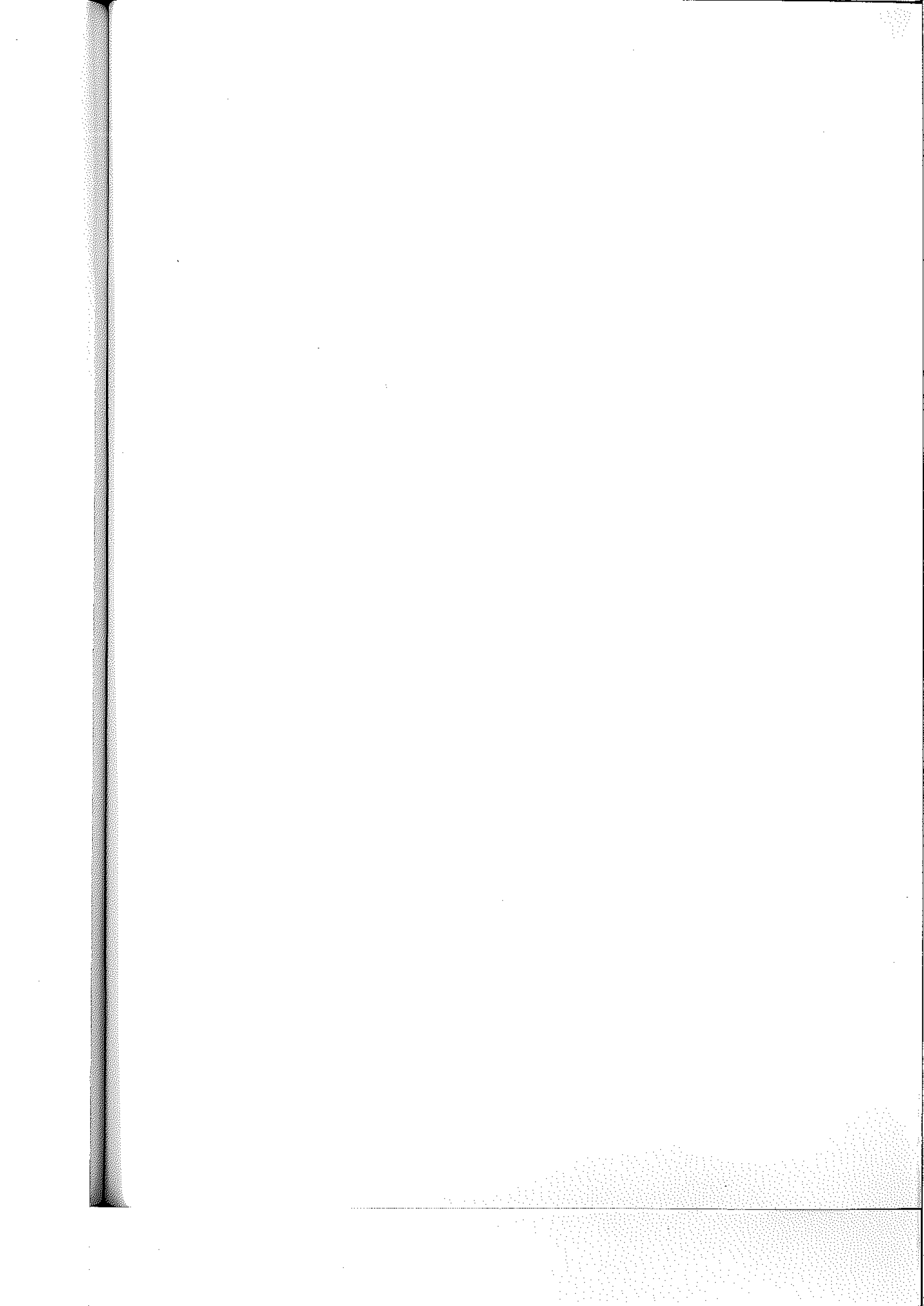
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: إصابة العين، وطرق معالجتها في السنة النبوية.

المبحث الثاني: أحبّاء الله في السنة المطهرة.

المبحث الثالث: المنهج التربوي عند النبي ﷺ من خلال شهر رمضان.

المبحث الرابع: منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية ثمرة السفرجل في الحديث النبوي نموذجاً.



المبحث الأول
إصابة العين
وطرق معالجتها في السنة النبوية المطهرة

هل الإصابة بالعين أمر ثابت في الدين؟ وما هي الأدلة الشرعية والعقلية المؤيدة لذلك؟

الإصابة بالعين أمر ثابت في الدين، وهو قول جمهور العلماء، قال الإمام القرطبي: «هذا قول عامة الأمة، ومذهب أهل السنة، وأنكره قوم مبتدعة، وهم محجوجون بما يشاهد منه في الوجود، فكم من رجل أدخلته العين القبر، وكم من جمل أدخلته القِدْر لكنه بمشيئة الله، ولا يلتفت إلى معرض عن الشرع والعقل. . .»[1].

وقد استدل العلماء على قولهم هذا بالقرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، والعقل، والوقوع.

أما القرآن الكريم: فقد قال الله تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾. وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود فتؤثر بتلك الخاصية[2].

---

(١) انظر «فيض القدير» للمناوي (٤ / ٣٩٧).

(٢) «الطب النبوي» لابن القيم (١٣٠).

وقال تعالى: ﴿وقال يا بَنيَّ لا تدخلوا مِن بابٍ واحدٍ، وادخلوا من أَبوابٍ متفرقة. . .﴾ أمر يعقوب أولاده أن يدخلوا من أبواب متفرقة، وسبب ذلك كما قال ابن عباس، ومحمد بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغير واحد: «إنه خشي عليهم العين، لأنهم كانوا ذوي جمال، وهيئة حسنة. ، ومنظر وبهاء، فإن العين حق تستنزل الفارس من فرسه»[1].

وأما السنة النبوية: فقد جاء فيها عدة أحاديث منها:

١ ـ عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ:

«العين حق». وفيه: «ونهى عن الوَشْم»[2].

٢ ـ وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«العينُ حقٌّ، تَستنزِلُ الحالِقَ» أَي: الجبل العالي المنيف المشرف.

رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني، والحاكم في «مستدركه» وصححه، وأقره الذهبي[3].

٣ ـ وعن أَبي هريرة، عن النبي ﷺ:

«العين حق، يحضرها الشيطان، وحسد ابن آدم»[4].

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٢ / ٤٨٤)، و«تفسير روح المعاني» للآلوسي (١٣ / ١٦).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» برقم (١٩٧٧٨)، وأحمد في «مسنده» برقم (٨٢٤٥)، والبخاري في «صحيحه» برقم (٥٧٤٠ و٥٩٤٤)، ومسلم برقم (٢١٨٧، ٤١)، وأبو داود برقم (٣٨٧٩) وغيرهم. ورواية مسلم وأبي داود ليس فيها النهي عن الوشم. وانظر «فتح الباري» (١٢ / ٣١٢)، وقال ابن حجر: «وقد ظهرت لي مناسبة بين هاتين الجملتين، وهي أن من جملة الباعث في عمل الوشم تغير صفة الموشوم لئلا تصيبه العين، فنهى عن الوشم مع إثبات العين، وأن التحيل بالوشم وغيره مما لا يستند إلى تعليم الشارع لا يفيد شيئاً».

(٣) رواه أحمد برقم (٢٤٧٧)، و«المستدرك» للحاكم (٤ / ٢١٥)، والطبراني برقم (١٢٨٣٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٩٦٦٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥ / =

٤ ـ وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قالَ رسول الله ﷺ:

«العين حق، ولو كان شيء سابَقَ القدرَ: لسبقتْهُ العين، وإذا استُغسِلتُم فاغسلوا». رواه مسلم، والترمذي وقال: حديث صحيح[١].

٥ ـ عن أَبي أُمامة بن سهل بن حُنيف أن أباه حدثه، أن رسول الله ﷺ خرج، وساروا معه نحو مكة، حتى إذا كان بشعب الخرَّار من الجحفة، اغتسل سهل بن حنيف ـ وكان رجلاً أبيض، حسنَ الجسم والجلد ـ، فنظر إليه عامر بن ربيعة وهو يغتسل، فقال: والله ما رأيت كاليوم، ولا جلدَ مُخَبَّأة عذراء، قال: فلُبِطَ بسهل، فأُتي رسولُ الله ﷺ، فقيل له: يا رسول الله، هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه، وما يُفيق! قال: «هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه، وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرَّكتَ؟» ـ أي قلت: اللهم بارك فيه ـ[٢]، ثم قالَ له: «اغتسل له»، فغسل له عامر وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلةَ إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، يصُبُّه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس، ليس به بأس»[٣].

= ١٠٧)، ورجاله رجال الصحيح. لكن قال الشيخ شعيب: إسناده منقطع لأن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة.

(١) مسلم برقم (٢١٨٨)، والترمذي برقم (٢٠٦١)، وانظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٤ / ١٧١)، و«تحفة الأحوذي» (٦ / ٢٢٦).

(٢) في «مجمع الزوائد» (٥ / ١٠٩)، وقد حكى ابن عبدالبر في «التمهيد» في قوله ﷺ: «ألا بركت عليه!» عن أهل العلم: اللهم بارك فيه.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢ / ٩٣٩)، وعبدالرزاق في «المصنف» برقم (١٩٧٦٦)، وأحمد بن حنبل في «مسنده» برقم (١٥٩٨٠) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» برقم (٧٦١٧، ١٠٠٣٦)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٥٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٦١٠٦)، والحاكم في «مستدركه» (٣/ ٤١٠ ـ ٤١١)، من طرق عن الزهري به. =

٦ ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . والعين حق»[١].

٧ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العين لتولعُ الرجل بإذن الله حتى يَصْعَدَ حالِقاً ثم يتردَّى منه»[٢].

= وقوله «الخرار»: موضع قرب الجحفة، وقوله «فلبط»: أي صُرع به، وقوله «يكفأ»: أي يقلب.

وكان الإمام أحمد بن حنبل قد أورد الحديث في مسند الصحابي عامر بن ربيعة برقم (١٥٧٠٠)، واقتصر فيه على ذكر الدعاء، ولم يذكر قصة الاغتسال، وفيه: «. . . فجاء يمشي فخاض الماء، كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده، ثم قال ـ أي رسول الله ﷺ ـ: «اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها»، قال: فقام».

فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه، أو من ماله ما يُعجبه، فليُبرِّكْهُ، فإنَّ العين حق».

هذا وقد جمع الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧ / ٣٤٠)، بين حديث عامر بن ربيعة الذي فيه الاكتفاء بالدعاء، وبين حديث سهل بن حنيف الذي فيه أمر عامر بالاغتسال له، بأنه يحتمل: أن يكون قد جمعهما له جميعاً، أو يكون كان ذلك مرتين. . .، ويحتمل أن يكون الاغتسال كان، ثم نسخ بغيره، ثم أورد الطحاوي حديث أبي سعيد الخدري برقم (٢٩٠٢)، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من عين الجان، وعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما، وترك ما سوى ذلك.

وأورد بعده حديث عائشة قالت: أمرني رسول الله ﷺ أن أسترقي من العين، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري برقم (٥٧٣٨)، ومسلم (٢١٩٥) (٥٦).

وحديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢١٨٦)، وغيره، وفيه: «اشتكى رسول الله ﷺ، فرقاه جبريل بقوله: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك».

ثم قال الطحاوي: «ففي هذه الآثار الاكتفاء بالمعوذتين وبالرقى، وفي ذلك ما قد دلَّ على نسخ الغسل. .». وانظر «مسند أحمد» بتحقيق الشيخ شعيب (٢٤ / ٤٦٨).

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم (٧٠٧٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥ / ١٠١): «رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات».

(٢) رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٢٣٠٢ و٢١٤٧١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥ / ١٠٦): «رواه أحمد في «مسنده»، ورجاله ثقات».

وأما العقل: فإنه جائز الوقوع، وليس فيه استحالة:

قال الإمام المازري في رده على المبتدعة الذين أنكروا العين:

«إن كل معنى ليس مخالفاً في نفسه، ولا يؤدي إلى قلب حقيقة، ولا إفساد دليل فإنه من مجوزات العقول إذا أخبر الشرع بوقوعه، وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه»[1].

وقال الحافظ ابن القيم ـ في معرض حديثه عن هؤلاء ـ: «وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب، وخالفوا العقلاء أجمعين، ولا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص، وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه، ويستحيي منه، ويصفر صفرة عند نظر من يخافه، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر، وتضعف قواه، وهذا كله بوساطة تأثير الأرواح، ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها، وكيفيتها، وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بيِّناً، ولهذا أمر الله سبحانه رسوله: أن يستعيذ به من شره.

والحاصل: أن التأثير بإرادة الله وخلقه وليس مقصوراً على الاتصال الجسماني، بل يكون تارةً به، وتارة بالمقابلة، وتارة بمجرد الرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه، كالذي يحدث من الأدعية والرقى والالتجاء إلى الله، وتارة بالوهم والتخيل.

ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية: بل قد يكون أعمى،

---

(١) انظر «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤ / ١٧١).

فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعني بالوصف من دون رؤية، وقد قال الله لنبيِّه: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾[1].

وأما الوقوع:

فقد تقدم ذكر إصابة عامر بن ربيعة لسهل بن حنيف في زمن النبي ﷺ، وكذلك ما يشاهد في واقعنا من إصابات في كثير من الأشخاص، وكذلك ما ذكره الفقهاء في كتبهم: أَنَّ من عُرِف بذلك حبسه الإمام، وأجرى له ما ينفق عليه إلى الموت.

قال القاضي عياض: «ينبغي إذا عُرِف أحد بالإصابة بالعين أن يُجتنب ويتحرز منه، وينبغي للإمام منعه من مداخلة الناس، ويأمره بلزوم بيته، فإن كان فقيراً رزقه ما يكفيه، ويكف أذاه عن الناس؛ فضرره أشد من ضرر أكل الثوم والبصل الذي منعه النبي ﷺ دخول المسجد لئلا يؤذي المسلمين، وأشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر رضي الله عنه، والعلماء من الاختلاط بالناس...».

قال النووي: وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه، وقال الشيخ ابن القيم: وهذا هو الصواب قطعاً[2].

وإذا كانت قضية إصابة العين بهذه الخطورة، وأنها شيء ثابت وجوده وأحقيته، وهو واقع في مجتمعاتنا يعرفه الصغير والكبير، ويتحدث عنه الجاهل والعالم لما يحتل من أهمية كبرى، فهل يتصور أن يترك فلا يعطى له الدواء الناجح، والحل الحاسم؟

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٢ / ٣١٠)، و«الطب النبوي» (١٣٠).

(٢) انظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٤ / ١٧٣)، و«فتح الباري» (١٢ / ٣١٥)، و«عمدة القاري» (٢١ / ٢٦٧) و«الطب النبوي» (١٣١).

فالمعلوم: أن الشرع الشريف لم يترك مثل هذا الموضوع سدى، بل أولاه عناية خاصة، تتجلى للمسلم عندما يبحث عن دينه، فيرى أن هناك علاجات نبوية لمثل هذه الأمور، من أَخذ بها سَلِم وغنم، وحفظ من كل مكروه.

ولم يكتفِ النبي ﷺ بوضع العلاج فحسب، بل أمر بالرقى، وحث عليها كثيراً... من ذلك ما جاء في «البخاري» و«مسلم» عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين»[1].

وقال لأسماء بنت عميس: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة، تصيبهم الحاجة؟».

قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم. قال: «ارقيهم». قالت: فعرضت عليه. فقال: «ارقيهم». رواه مسلم والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[2].

وها أنذا أذكر لك نموذجاً من هذه العلاجات النبوية، شريطة أن تعمل بها باعتقاد جازم، ونية صالحة.

قال الشيخ ابن القيم: «وهذا مما لا يناله الأطباء، ولا ينتفع به من أنكره، أو سخر منه، أو شك فيه، أو فعله مجرباً لا يعتقد أن ذلك ينفعه».

العلاج النبوي للعائن الذي يخشى ضرر عينه:

وإذا كان العائن يخشى ضرر عينه، وإصابتها للمعين، فعليه أن يرجع إلى العلاجات النبوية ليدفع شرها، ويأمن ضرها، وما هي إلا كلمات قليلة يرددها كلما أعجبه شيء، أو استحسنه، ويكون ذلك رقية منه. من هذه

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٥٧٣٨)، ومسلم برقم (٢١٩٥)، وانظر «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤ / ١٨٣)، و«فتح الباري» (١٢ / ٣١٠).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٢١٩٨)، و«تحفة الأحوذي» (٦ / ٢٢٠)، رقم الحديث (٢١٣٦).

الكلمات :

١ ـ «اللهم بارك فيه» :

لما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف :

«إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يعجبه ؛ فليدعُ بالبركة ، فإن العين حق»[١] .

٢ ـ «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» :

أخرج البزار وابن السني من حديث أنس رفعه :

«من رأى شيئاً فأعجبه فقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، لم يضره»[٢] .

وما تقدم إنما ينفع عند الإصابة ، وقبل الاستحكام ، أما بعد الاستحكام فقد أرشد الشارع إلى ما يدفعه .

العلاج النبوي لهذه العلة بعد الإصابة :

هناك عدة أنواع من العلاجات النبوية منها :

١ ـ الإكثار من قراءة «فاتحة الكتاب» .

قال ابن القيم : «إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ، ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها ؛ لتضمنها جميع معاني الكتاب» .

٢ ـ الإكثار من قراءة المعوذتين ـ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ـ وذلك لما رواه أبو سعيد قال : «كان رسول الله ﷺ يتعوّذ من الجان

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٥٧٠٠) ، والحاكم في «مستدركه» (٤ / ٢١٥) ، وصححه ، وأقرّه الذهبي ، ورواه غير واحد .

(٢) «فتح الباري» (١٢ / ٣١٤) .

وعين الإنسان ـ أي يقول: أعوذ بالله من الجان، وعين الإنسان ـ، فلما نزلت المعوذتان؛ أخذ بهما، وترك ما سوى ذلك».

رواه الترمذي في «جامعه»، والنسائي في «سننه»[1].

٣ ـ التعويذات النبوية:

ومنها: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة». أخرجه الترمذي في «جامعه»، وقال: حديث حسن صحيح[2].

ومنها: «بسم الله يُبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين». رواه مسلم[3].

ومنها: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[4].

وغيرها من التعويذات الوارد عن النبي ﷺ قراءتها في الصباح والمساء[5].

قال الإمام ابن القيم: «ومن جرب هذه الدعوات والعوذ عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله، وثبات قلبه»[6].

٤ ـ أن يؤمر العائن ـ الذي تحقق أنه ذو عين مؤثرة ـ بالاغتسال.

والاغتسال: هو أن يغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطراف

---

(١) انظر «تحفة الأحوذي» (٦ / ١٢٨)، برقم (٢١٣٥)، و«سنن النسائي» (٨ / ٢٧١).
(٢) انظر «تحفة الأحوذي» (٦ / ٢٢٠)، برقم (٢١٣٨).
(٣) «صحيح مسلم» برقم (٢١٨٥).

رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم يصب على المصاب.

لما رواه الإمام مسلم: «وإذا استُغسلتُم فاغسلوا»، والأمر للوجوب[1]، وكذلك قد تقدم حديث سهل وصفة اغتساله[2].

هذه هي العلاجات النبوية الصحيحة، والناظر في هذا الموضوع يرى أنه بمقدار ما أعطى الشارع الحكيم لهذا الموضوع من أهمية، كان العلاج بمقابله سهلاً، بل غاية في السهولة حتى لا يشغل المسلم فكره بذلك.

الرقى المذمومة:

وعلى هذا فما نراه شائعاً في مجتمعنا اليوم من أمور مخالفة لهدي النبي ﷺ، سواء أكانت هذه المخالفة في تعليق (أم السبع عيون، أو الخرزات الزرقاء، أو الودع، أو حذاء طفل صغير، أو حدوة فرس، أو كف مرسوم في وسطها عين، أو غيرها...) على جدران البيوت وفي صدور الأطفال، وفي مقدمة السيارات... أم كانت في إطلاق بعض الألفاظ المخالفة للسنة: (حية وراك، عينك بحافرك... وغيرها)، مما لا يليق بالمسلم الواعي أن يلتفت من قريب أو بعيد إليها، وأن يعمل جاهداً على تطبيق السنة، واجتناب البدعة، واستمع أخي المسلم إلى رسول الله ﷺ حيث يقول:

«من تَعَلَّقَ تميمةً فلا أَتمَّ الله له، ومن تَعَلَّقَ وَدْعةً فلا وَدَعَ اللهُ له».

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٢ / ٣١٣)، و«عمدة القاري» (٢١ / ٢٦٦)، و«صحيح مسلم بشرح النووي» (١٤ / ١٧١).

(٢) هذا على القول بأن الاغتسال المذكور لم ينسخ، وإلا فقد ذهب الطحاوي رحمه الله إلى القول بنسخه وقد تقدم ذكر ذلك.

والذي أراه: أن الأمر باغتسال العائن يمكن الأخذ به عند التأكد من هوية العائن، والتحقق التام من إصابته بالدليل الواضح، لا مجرد التوهم والظن، كما يقع لكثير من الناس، وإلا فقد يحدث من وراء ذلك شر كبير وخطر عظيم.

رواه الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حبان، والحاكم في «مستدركه» وصححه، وأقره الذهبي وغيرهم[(١)].

والتميمة: خرزة كانوا يتعلقونها، يرون أنها تدفع الآفات. ويقال: إنها قلادة تعلَّق فيها العوذ، قال أبو ذؤيب:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

واعتقاد هذا الرأي جهل وضلال، ولا يدخل في هذا التعوذ بالقرآن والتبرك والاستشفاء به[(٢)].

والوَدْعة: شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان، وإنما نهى عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين. ـ لا لأجل الزينة ـ[(٣)].

وقوله: «لا ودع الله له»: أي لا جعله الله في دعة وسكون.

ويدخل في هذا النهي ما يعلق على الحيوانات: قال عليه الصلاة والسلام:

«لا يَبْقَيَنَّ في رَقَبَةِ بعيرٍ قِلادةٌ من وَتَرٍ، أَو قِلادةٌ إلاَّ قُطِعَت»[(٤)].

قال مالك: أرى ذلك من العين، أي: ظن أن النهي مختص بمن فعل ذلك بسبب رفع ضرر العين. وأما من فعله لغير ذلك من زينة أو غيرها فلا بأس.

والله أعلم وأحكم.

* * * * *

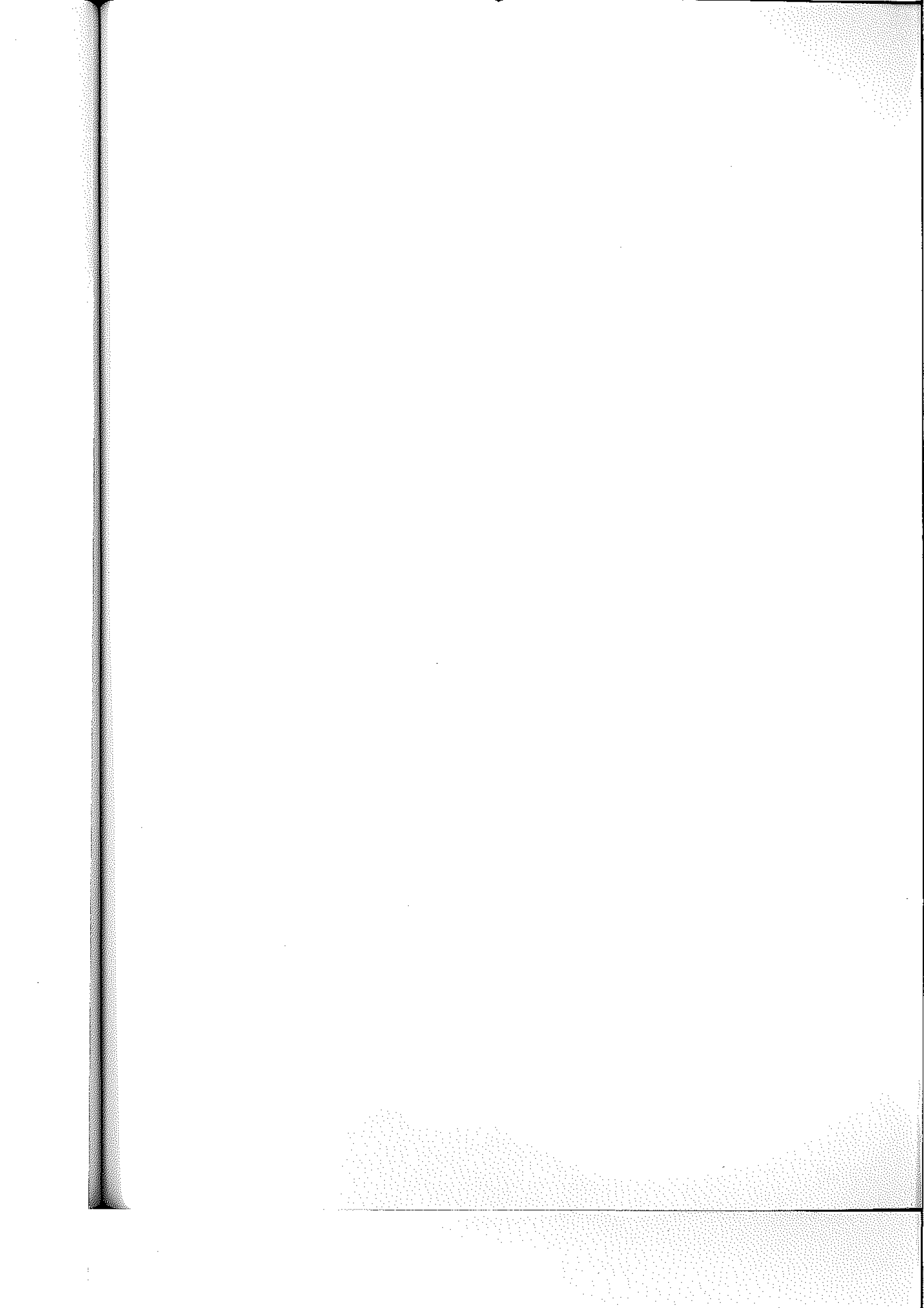
---

(١) رواه أحمد برقم (١٧٤٠٤ و٢١٧٤٢٢)، ولفظه: «من علق تميمة فقد أشرك». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «ورجال أحمد ثقات»، وابن حبان برقم (٦٠٨٦)، و«مستدرك» الحاكم (٤ / ٢١٦).

(٢) انظر «معالم السنن» للخطابي المطبوع على «مختصر سنن أبي داود» (٥ / ٣٥٤).

(٣) «النهاية» لابن الأثير (٥ / ١٦٨).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٠٠٥)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢١١٥).



المبحث الثاني
أحباء الله في السنة النبوية المطهرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا أحبّ الله عبداً؛ نادى جبريلَ: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض». رواه البخاري في «صحيحه»[1].

أولاً: معنى قوله: «إذا أحب الله عبداً».

هل لهذه المحبة من الله سبب أم لا؟ الجواب: نعم، ويدل عليه ما جاء في بعض طرق الحديث، ففي حديث ثوبان الذي رواه أحمد في «مسنده»[2] وغيره، «إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى، فلا يزال بذلك، فيقول الله لجبريل إن عبدي فلاناً يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه فيقول جبريل: رحمة الله عليه، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم تهبط له إلى الأرض».

ويشهد له أيضاً حديث أبي هريرة في «صحيح البخاري»: [3]

---

(١) برقم (٦٦٤٠)، (١٠ / ٤٧٦) من «فتح الباري» لابن حجر.
(٢) برقم (٢٢٤٠١).
(٣) برقم (٦٥٠٢)، وابن حبان في صحيحه برقم (٣٤٧) واللفظ له.

«إن الله جل وعلا يقول: من عادى لي ولياً فقد آذاني، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّهُ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فإن سألني عبدي أعطيته، وإن استعاذني، أعذته..».

ثانياً: معنى قوله: «يوضع له القبول في الأرض»: هو من قوله تعالى: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ أي: رضيها. يقال: فلان عليه قبول: إذا قبلته النفس.

والمراد بالقبول في هذا الحديث: قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه، والرضا عنه، ويؤخذ منه: أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله.

والمراد بمحبة الله: إرادة الخير للعبد، وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة: استغفارهم له، وإرادتهم خير الدارين له، وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعاً لله مخبتاً لله.

وهذا معنى الحديث: «ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإن كان حسناً وضع في الأرض، وإن كان سيئاً وضع في الأرض»[1].

ومحبة العباد له: اعتقادهم فيه الخير، وإرادتهم دفع الشر عنه.

ولهذا يجب على المسلم أن يبحث عن الخصال التي يحبها الله في القرآن، ومن خلال النصوص التي وردت عن النبي ﷺ لينال شرف هذه المرتبة العظيمة...

ومن هذه الخصال التي ذكرت في القرآن:

---

(١) رواه البزار عن أبي هريرة، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠ / ٢٧١): ورجاله رجال الصحيح.

١ ـ الإحسان. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

٢ ـ التوبة.

٣ ـ والتطهر. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

٤ ـ التقوى. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

٥ ـ الصبر. لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

٦ ـ التوكل. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[5].

٧ ـ القسط. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[6].

٨ ـ الاتباع. لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[7].

٩ ـ الجهاد. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[8].

أما في السنة النبوية فهي كثيرة بها حاجة إلى جمع وتحقيق، وإضافتها إلى هذه الخصال، وقد وفقني الله فقمت بجمعها، وتخريجها في أربعين حديثاً احتوت على اثنتين وستين خصلة من الخصال التي يحب الله من اتصف بها، وإليك بيانها:

---

(١) سورة البقرة: آية ١٩٥.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٢٢.
(٣) سورة التوبة: آية ٤.
(٤) سورة آل عمران: ١٤٦.
(٥) سورة آل عمران: آية ١٥٩.
(٦) سورة الحجرات: آية ٩.
(٧) سورة آل عمران: آية ٣١.
(٨) سورة الصف: آية ٤

الخصال التي يحبها الله تبارك وتعالى من خلال السنة المطهرة:

١ ـ إتقان العمل:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[(١)].

٢ ـ السماحة في البيع والشراء والقضاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إن الله تعالى يحب سَمْح البيع، سمْحَ الشراء، سمْحَ القضاء»[(٢)].

٣ ـ الخلق الحسن:

عن أَبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال:

«إن أحبّكم إلى الله، وأقربكم مني؛ أحاسنكم أخلاقاً..»[(٣)].

٤ ـ الزهد في الدنيا:

عن سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله دلني على عمل، إذا أنا عملته أحبني الله، وأحبني الناس! فقالَ رسولُ الله ﷺ:

«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك»[(٤)].

٥ ـ الرفق في الأمور كلها:

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وانظر «صحيح الجامع الصغير» برقم (١٨٨٠).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» برقم (٢٠٧٧) من رواية أبي مصعب، والترمذي في «جامعه» برقم (١٣١٩)، والحاكم في «مستدركه» (٢ / ٥٦).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٤ / ١٩٣)، وابن حبان برقم (٤٨٢).

(٤) رواه الترمذي برقم (٤١٠٢).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يحب الرفق في الأمر كله»[1].

٦ ـ الجمال في المظهر والمخبر:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال الرجل: يا رسول الله، إن الرجل ليحبُّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً! فقال:

إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: من بَطِرَ الحق، وغمصَ الناس»[2].

٧ ـ المحبة في الله، والمجالسة والتزاور والتباذل فيه تعالى:

قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: والله إني لأحبك، فقال: آلله؟ قلت: آلله، ثلاثاً، قال: فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه، وقال: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»[3].

٨ ـ التهليل، والتسبيح، والتحميد، والتكبير:

عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تبارك وتعالى أربع: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر. لا

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٠٢٤)، ومسلم برقم (٢١٦٥) وغيرهما.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٥٤٦٦) وغيره.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢ / ٩٥٣)، وأحمد (٥ / ٢٣٣)، وابن حبان برقم (٥٧٥)، وغيرهم.

يضرك بأيهن بدأت»[1].

٩ ـ الحياء والستر:

«. . . إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﷺ: «إن الله عز وجل حييٌّ يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»»[2].

١٠ ـ محبة سورة الإخلاص، والإكثار من قراءتها:

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعثَ رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[3].

١١ ـ المتقربون إلى الله بأداء الفرائض، وبالاجتهاد في نوافل الطاعات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى، قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[4].

١٢ ـ الغيرة في الدين، والخيلاء عند القتال، وعند الصدقة.

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٨٣٥)، وغيرهما.
(٢) رواه أبو داود في «سننه» برقم (٤٠١٢).
(٣) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٣٧٥)، ومسلم برقم (٨١٣)، وابن حبان (٧٩٣)، وغيرهم.
(٤) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٥٠٢)، وغيره.

عن جابر بن عَتيك، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من الغَيرة ما يُبغض الله، ومنها ما يُحب الله، ومن الخُيَلاء ما يُحب الله، ومنها ما يبغض الله؛ فالغيرة التي يحب الله: الغيرة في الدين، والغيرة التي يبغض الله: الغيرة في غير ريبة. والخيلاء الذي يحب الله: اختيال الرجل بنفسه عند القتال، وعند الصدقة، والاختيال الذي يبغض الله: الاختيال في الباطل»[1].

١٣ ـ المتصدق إذا تصدق لله سراً، أو تهجد لله سراً، والشهيد:

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله؛ أما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قوماً فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه، فتخلف رجل بأعقابهم، فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله، والذي أعطاه.

وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم مما يعدل به، نزلوا فوضعوا رؤوسهم، وقام يتملقني، ويتلو آياتي.

ورجل كان في سرية، فلقي العدو فهزموا، وأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له.

وثلاثة يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم»[2].

١٤ ـ العبد التقي الغني الخفي:

كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل، فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره، فقال:

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٥ / ٤٤٥)، وأبو داود برقم (٢٦٥٩)، والنسائي (٥ / ٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٤٧٦٢)، وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ١٣٥)، والترمذي برقم (٢٥٦٨)، والنسائي (٥ / ٨٤)، وابن حبان برقم (٣٣٤٩)، وغيرهم.

اسكتْ، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[1].

وفي حديث معاذ: «... إن الله يحب الأبرار، الأتقياء، الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»[2].

١٥ ـ على العبد إظهار نعمة الله ليراها عليه:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[3].

١٦ ـ العمل بالرخص والعمل بالعزائم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصُهُ، كما يحب أن تؤتى عزائمه»[4].

وفي رواية ابن عمر:

«إن الله يحب أن تؤتى رخصُهُ، كما يُكره أن تُؤتى معصيتُهُ»[5].

١٧ ـ يحب العطاس، ويكره التثاؤب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب العُطاس، ويكره التثاؤب»[6].

---

(١) رواه مسلم. انظر «مختصر صحيح مسلم» للمنذري برقم (٢٠٨٨).

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» برقم (٣٩٨٩).

(٣) رواه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٨١٩)، وقال: حسن.

(٤) رواه عبدالرزاق في «مصنفه» برقم (٢٠٥٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٥٤)، وغيرهما.

(٥) رواه أحمد (٢ / ١٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٢٧٤٢ و٣٥٦٠).

(٦) رواه البخاري برقم (٤٣٨٩)، وأبو داود برقم (٦٢٢٦)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٧٤٧).
=

١٨ ـ معالي الأمور وأشرافها، ومعالي الأخلاق:

عن سهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»[١].

وفي رواية الحسين بن علي عن النبي ﷺ:

«إن الله يحب معالي الأمور، وأشرافها، ويكره سفاسفها»[٢].

١٩ ـ محبة الحسن والحسين:

لقوله ﷺ: «أحب الله من أحب حسيناً»[٣].

وقال عن الحسن: «اللهمَّ إني أحبه فأحبَّه، وأَحبَّ من يُحبه»[٤].

٢٠ ـ محبة الأنصار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله»[٥].

٢١ ـ الطيب، والنظافة، والكرم والجود:

عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال:

«إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود»[٦].

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (١ / ٤٨) وصححه.

(٢) رواه الطبراني في «معجمه الكبير»، وانظر «صحيح الجامع الصغير» برقم (١٨٩٠).

(٣) رواه أحمد (٤ / ١٧١).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٨٨٤) وغيره.

(٥) رواه أحمد (٢ / ٥٠٠).

(٦) رواه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٧٩٩).

٢٢ ـ المؤمن، الفقير المتعفف أبو العيال:

عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله يحب عبده المؤمن الفقير، المتعفف أبا العيال»[١].

٢٣ ـ التعجيل بالفطر عند الصيام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله تعالى: أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطراً»[٢].

٢٤ ـ الوتر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله تسعة وتسعين اسماً، من حفظها دخل الجنة، والله وتر يحب الوتر»[٣].

٢٥ ـ القلب الحزين:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله يحب كل قلب حزين»[٤].

٢٦ ـ إغاثة اللهفان:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب إغاثة اللهفان»[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» برقم (٤١٢٠)، وفي سنده مقال.

(٢) رواه الترمذي برقم (٧٠٠)، وقال: حديث حسن غريب، ورواه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٣٥٠٧)، وغيرهما.

(٣) رواه البخاري (١١ / ١٨٠) بهامش «الفتح»، ومسلم برقم (٢٦٧٧)، وغيرهما.

(٤) رواه الحاكم في «مستدركه» (٤ / ٣١٥) وصححه، ولم يوافقه الذهبي.

(٥) أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة.

٢٧ ـ الصبر على أذى الجار:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب الرجل له الجار السوء؛ يؤذيه فيصبر على أذاه، حتى يكفيه الله بحياة أو موت»[١].

٢٨ ـ السهل الطلق:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب السهل الطلق»[٢].

٢٩ ـ الشاب التائب:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب الشاب التائب»[٣].

٣٠ ـ الصمت عند ثلاث: التلاوة، وعند الزحف، وعند الجنازة:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب الصمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة»[٤].

٣١ ـ العبد المحترف:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف»[٥].

٣٢ ـ المداومة على الإخاء القديم:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب المداومة على الإخاء القديم؛ فداوموا عليه»[٦].

٣٣ ـ المرأة الملقة مع زوجها:

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه»، وابن عساكر عن أبي ذر.
(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، والشيرازي عن أبي هريرة.
(٣) رواه أبو الشيخ عن أنس.
(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥ / ٢١٣)، برقم (٥١٣٠)، عن زيد بن أرقم.
(٥) رواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٦) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» عن جابر.

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب المرأة الملِقة البرِعة مع زوجها، الحصان عن غيره»[١].

٣٤ ـ العدل في التقبيل بين الأطفال:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل»[٢].

٣٥ ـ الحمد لله:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن يُحْمَدَ»[٣].

٣٦ ـ أبناء الثمانين:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب أبناء الثمانين»[٤].

٣٧ ـ الغيور:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب من عباده الغيور. . .»[٥].

٣٨ ـ قراءة القرآن كما أنزل:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل»[٦].

٣٩ ـ أهل البيت الخصِب:

لقوله ﷺ: «إن الله تعالى يحب أهل البيت الخصِب»[٧].

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» عن علي.
(٢) أخرجه ابن النجار في «تاريخه» عن النعمان بن بشير.
(٣) أخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» عن الأسود بن سريع.
(٤) أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر.
(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» عن علي.
(٦) رواه السجزي في «الإبانة» عن زيد بن ثابت.
(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» عن ابن جريج معضلاً.

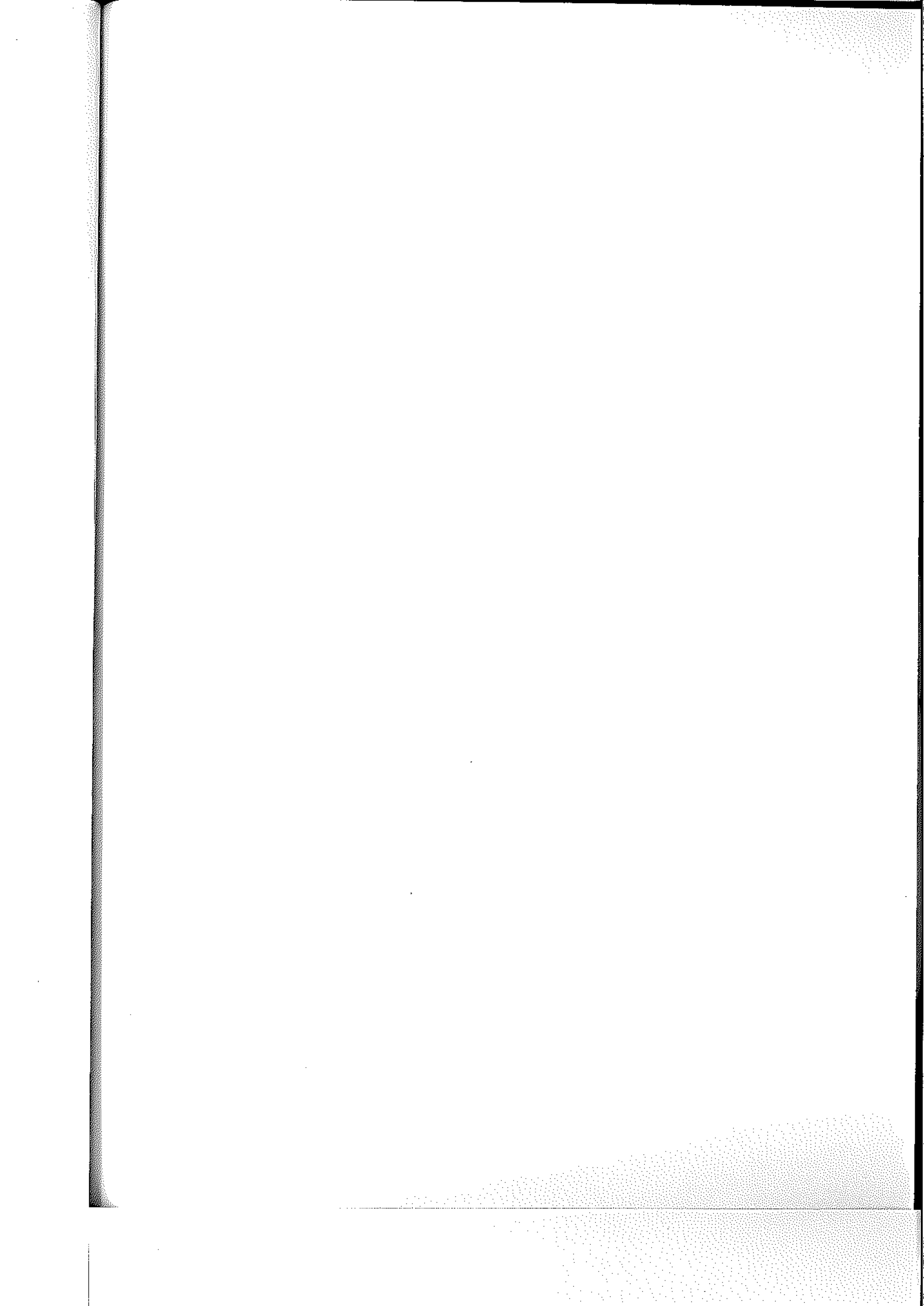
٤٠ ـ من يحب التمر :

لقوله ﷺ : «إن الله تعالى يحب من يحب التمر»[١] .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» عن عبدالله بن عمرو .
ملاحظة : الأحاديث (٢٥ ـ ٤٠) مأخوذة من «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» . وجمهور العلماء يجوزون العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، كما هو مقرر عند علماء الحديث في كتب المصطلح ، وانظر «تدريب الراوي» للسيوطي في ذلك .



المبحث الثالث

المنهج التربوي عند النبي ﷺ من خلال شهر رمضان

لا أريد أن أتحدث عن منهج النبي ﷺ في رمضان فيما يتعلق بأحكام الصيام؛ كتعجيل الفطور وتأخير السحور والأدعية عند السحور والفطور وغير ذلك، لأنه أمر أصبح معلوماً عند المسلمين، وقد أشار إليها أهل العلم في مؤلفاتهم عن أحكام الصيام.

ولكنني أريد أن أتحدث عن منهجه ﷺ المتمثل في تحقيق التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]. فالله عز وجل يبين لنا في هذه الآية أن الحكمة من الصيام هي تحقيق التقوى.

فما هي الوسائل التي اتبعها النبي ﷺ للوصول إلى هذه الحكمة؟

قبل الحديث عن هذه الوسائل أود أن أشير إلى أن علماء التربية المسلمين قد قرروا أن للشيطان مداخل ومنافذ إلى قلب الإنسان، فإذا أردت أن تحقق التقوى، فلابد أن تسد على الشيطان منافذه، وعلماء التربية تحدثوا عن خمس نوافذ للشيطان على الإنسان، وهي:

١ ـ فضول الطعام والشراب.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٣.

٢ ـ فضول المنام.

٣ ـ فضول الكلام.

٤ ـ فضول النظر.

٥ ـ فضول الاختلاط بالناس.

ومعنى الفضول هنا: الزيادة على الحد المعتاد، والزيادة على الحد المعتاد تعني: الإسراف، والإسراف منهي عنه شرعاً، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[1]. فهذه الآية الكريمة هي التأصيل لقاعدة «الفضول» التي تحدث عنها علماء التربية «ولا تسرفوا»: فهذا نهي عام شامل، وتحقيقه صعب.

ولا شك أن الفضول من شهوات النفس وأهوائها، ومن خلاله ينفذ الشيطان إلى قلب الإنسان، فلا بد من التخلص منه لسد المنافذ أمام وسوسة الشيطان، وجهاده كعدو متربص، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

فكيف نجاهد الشيطان؟ إننا نستطيع أن نجاهده عن طريق سد منافذه ومداخله، فإذا ما حصل ذلك عصم الإنسان من شروره ومفاسده.

والتقوى منزلة عالية رفيعة في الإسلام، وهي أرقى ما يصل إليه المسلم، وقد أعد الله للمتقين أجراً عظيماً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ۞ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴾[3].

والتقوى هي: أن تجعل بينك وبين المعاصي والذنوب حاجزاً، وهي

---

(١) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٢) سورة فاطر: آية ٦.

(٣) سورة النبأ: الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤.

ليست كلمة تقال، ولا شعاراً يرفع، ولا دعوى يستطيع أن يدعيها كل إنسان؛ وإنما هي غاية سامية تحتاج إلى منهج عمل ووسائل وأساليب لتحقيقها. فما هي هذه الوسائل؟ وكيف استطاع النبي ﷺ من خلال منهجه التربوي في رمضان أن يسد منافذ الشيطان للوصول إلى التقوى؟

بيان ذلك: أنه لا بد من الوقوف على معالجات النبي ﷺ للفضول المتمثل في سد النوافذ الخمس التي ينفذ منها الشيطان، كالآتي:

أولاً: أما بالنسبة لفضول الطعام والشراب؛ فقد عالجه النبي ﷺ بالصيام. يقول عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه»[1]. ولكن مما يؤسف له حقاً أن بعض المسلمين لم يدركوا الحكمة من الصيام!! وأنه نوع من أنواع التخفيف من أثقال الطعام والشراب، ليتعود المسلم بعد ذلك على ترك فضول الطعام والشراب في سائر أحواله... نعم لم يدركوا هذه الحكمة، فذهبوا ليسرفوا في الطعام والشراب، ويتفننوا في ألوانه وأنواعه! أجل كم دفع تناول الأطعمة الزائدة إلى أمراض وأسقام، وكم حرم به أناس يتضورون جوعاً وحرماناً، بل ربما يدفع صاحبه إلى أن يمد يده إلى الحرام في سبيل فضول طعام أو شراب!!

أليس سد هذا المنفذ باباً من أهم أبواب التقوى؟ وطريقاً من أفضل الطرق التي تقرب الإنسان من الرحمن، وتبعده عن الشيطان؟

ثانياً: وأما فضول المنام؛ فقد كان منهجه ﷺ في علاج هذه المشكلة بأن سن لنا القيام، يقول عليه الصلاة والسلام: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٩٠١)، ومسلم في «صحيحه» (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٠٠٩)، ومسلم برقم (٧٥٩).

والقيام يعني: كثرة العبادة من الصلاة وقراءة القرآن والذكر وغير ذلك.

وعن طريق كثرة القيام يستطيع المسلم أن يتخلص من فضول المنام، ولهذا كان ﷺ إذا دخل العشر ـ أي الأواخر من رمضان ـ «أيقظ أهله، وأحيا الليل..»[1].

وصدق الشاعر عندما قال:

ينال الوصل من سهر الليالي على الأقدام واستحلى القياما

ثالثاً: وأما فضول الكلام؛ فكان منهجه ﷺ في العلاج بقوله في الحديث القدسي عن الله عز وجل: «كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيامَ؛ فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرْفُث ولا يَصْخب، فإن سابه أحد أو قاتله؛ فليقل: إني صائم، إني صائم»[2].

والرفث: هو الكلام الفاحش، والفعل الفاحش من الجماع ومقدماته.

والصخب: هو رفع الصوت في حالة الغضب.

وفي هذا الحديث إرشاد إلى ترك الكلام المحرم مطلقاً، والاعتذار عن مقابلة من سب وشتم. وعلى المسلم في رمضان وفي غير رمضان أن لا يتكلم كثيراً، وإذا تكلم تكلم بما هو خير، قال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت»[3].

وفضول الكلام منفذ خطير من منافذ الشيطان، فعلى المسلم أن يحكم إغلاقه وسده.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٦ / ٤٠)، والبخاري في «صحيحه» (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).
(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).
(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٥٠٠).

رابعاً: فضول النظر: من منافذ الشيطان إلى قلب المسلم فضول النظر، فعلى المسلم أن يعود نفسه على غض البصر في هذا الشهر المبارك، وأن يثبت على ذلك فيما بعد رمضان. وقد عالج النبي ﷺ هذا الأمر بقوله: «فلا يرفث...». الرفث ـ كما تقدم ـ هو هذا الفعل الفاحش من الجماع ومقدماته، والنظر من مقدمات الجماع.

وفضول النظر منفذ لا يقل خطورة عن منفذ فضول الكلام، وعلى المسلم أن يجاهد نفسه في إحكام غلقه، والمحافظة على بصره.

والنبي عليه الصلاة والسلام لم يكتف بالنهي عن فضول الكلام، والنظر؛ وإنما أرشدنا إلى علاج آخر غير مباشر، وهو الإكثار من قراءة القرآن، والاشتغال به، لإشغال النفس عن كل ما لا يرضي الله. وقديماً قال علماء التربية المسلمون: «والنفس إن لم تشغلها بالخير، شغلتك بالشر».

خامساً: فضول الاختلاط بالناس: لقد أولى الإسلام القضية الاجتماعية كثيراً من الاهتمام، وجاء كثير من التشريعات والمفردات الإيمانية في السلوك لتنظم ذلك، ومن ذلك: صلة الأرحام، وزيارة الأخ لأخيه في الله، وعيادة المريض، والأمر بالسلام ورده، والأمر بالتعاون. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[1]. بل إن الله تعالى أرشدنا إلى الحكمة من جعل الناس شعوباً وقبائل، بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ...﴾[2].

وهكذا يتبين لنا من هذا العرض الموجز كيف استطاع النبي ﷺ من خلال منهجه التربوي في رمضان أن يسد منافذ الشيطان للوصول إلى التقوى تطبيقاً

---

(١) سورة المائدة: آية ٢.

(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.

لقوله تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾. وعلى المسلم أن يطبق هذا المنهج في رمضان وفي غير رمضان حتى يصل إلى مقام التقوى، ويكون من المتقين الذين يحبهم الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

* * * * *

(١) سورة التوبة: آية ٤.

المبحث الرابع

منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية

ثمرة السفرجل في الحديث النبوي نموذجاً

منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية:

لا بد لي وأنا أتحدث عن ثمرة السفرجل في الحديث النبوي من ذكر مقدمة أوضح فيها منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية:

هناك أحاديث نبوية وردت في الشؤون الطبية، وهي حجة ولا أعلم خلافاً بين العلماء في ذلك، وتشمل ما يأتي[(١)]:

أولاً: الأحاديث الواردة في حكم أصل العمل بالطب، والمعالجات وتناول الأدوية.

مثاله: ما جاء من حديث أسامة بن شريك أن رسول الله ﷺ قال: «يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء..»[(٢)].

وفي حديث جابر: «لكل داء دواء، فإن أصيب دواء الداء برأ بإذن الله

---

(١) استفدت في كتابة هذه المقدمة من البحث الموسوم بـ «مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية».

(٢) رواه أبو داود في «سننه» برقم (٣٨٥٥)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٠٣٨)، وابن ماجه برقم (٣٤٣٦).

تعالى»[1].

وبمعناه من حيث الجملة روي من طريق أنس وأبي هريرة، وابن مسعود وكلها تثبت أن الطب من حيث الأصل مشروع، وأن التداوي مطلوب شرعاً.

قال الحافظ ابن حجر: في هذه الأحاديث الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد، وفيها إثبات الأسباب، وأن العمل بالطب لا ينافي التوكل على الله لقوله: «بإذن الله».

والتداوي لا ينافي التوكل كما لا تنافيه سائر الأسباب، كدفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكتجنب المهلكات، وكالدعاء بطلب العافية، ودفع المضار ونحو ذلك..»[2].

ثانياً: أحاديث فيها توجيهات شرعية متعلقة بعملية التداوي:

من ذلك الأحاديث التي فيها النهي عن التداوي بالمحرمات:

كحديث أنه ﷺ سئل عن الخمر يتداوى بها فقال: «إنها ليست بدواء ولكنها داء»[3].

وكحديث: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»[4].

فهذه الأحاديث من قبيل الشرع؛ لأنه ﷺ ناط الحكم فيها بمعنى شرعي وهو التحريم، فما كان من المواد محرماً لم يجز التداوي به.

ولا يعني هذا أنه لا يجوز استعمال الدواء المحرم عند الضرورة، والضرورات تبيح المحظورات.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٢٠٤)، وابن حبان برقم (٦٠٦٣).

(٢) «فتح الباري» (١٠ / ١٣٥).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (١٩٨٤)، وأبو داود (٣٨٧٣)، والترمذي (٢٠٤٦).

(٤) رواه عبدالرزاق في «مصنفه» (٩ / ٢٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (١٣٩١).

ثالثاً: أحاديث أبطلت أنواعاً من المعالجات كانت سائدة في الجاهلية تنافي صحة الاعتقاد، لأنها ليست أسباباً حقيقية للشفاء وقد تقدم الحديث عنها في مبحث إصابة العين وطرق معالجتها في السنة النبوية.

رابعاً: أحاديث أمرت بأدوية ومعالجات ربطتها بأحكام تعبدية وشعائر دينية:

من ذلك حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[1].

ومنها: أحاديث الرقية وهو ما جاء من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده. قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به»[2].

خامساً: أحاديث مبنية على النص القرآني:

فمن ذلك أحاديث التداوي بالعسل، مثاله: ما جاء عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «إن كان في شيء من أدويتكم خير؛ ففي شرطة محجم، أو شربة عسل...»[3].

وإنما هي حجة لكونها عملاً بقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...﴾[4].

ومن ذلك الأمر بأكل الزيت، مثاله: ما جاء من حديث عمر بن الخطاب

---

(١) رواه أحمد (٦ / ١٢٤)، والنسائي (١ / ١٠)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (١٠٦٧).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٠١٧)، وأبو داود (٥٠٥٦)، والترمذي في «جامعه» (٣٤٠٢)، وابن حبان برقم (٥٥٤٤).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» وانظر «فتح الباري» (١٠ / ١٣٩).

(٤) سورة النحل: آية ٦٩.

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة»[1]. فإنه ينظر إلى قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾[2].

سادساً: أحاديث فيها ذكر أدوية أو معالجات يخبر النبي ﷺ أنه علمها بطريق الوحي، أو إخبار الملائكة، أو أن الله يحبها، أو يكرهها، و نحو ذلك[3].

أما الأحاديث التي فيها ذكر أدوية أو معالجات لم يخبر النبي ﷺ أنه علمها بطريق الوحي، أو إخبار الملائكة، أو أن الله يحبها أو يكرهها ونحو ذلك . وليس فيها أيضاً ما يدل على أنها من الأمور الدينية البحتة . فهي مترددة بين كونها من الأمور الدينية أو الأمور الدنيوية؟ فهل تحمل على أنها من الأمور الدينية أم تحمل على أنها من الأمور الدنيوية خلاف بين العلماء[4].

والذي أراه راجحاً في هذه المسألة أنها تحمل على أنها من الأمور الدينية فهي مشروعة نظراً لأن الأكثر من أفعاله ﷺ يراد منها التشريع .

---

(١) رواه الترمذي في «جامعه» برقم (١٨٥١)، وابن ماجه برقم (٣٣١٩).

(٢) سورة المؤمنون: آية ٢٠ .

(٣) ويكتفى في العمل بهذا النوع من الأحاديث صحتها أو حسنها ولا يشترط في القبول:
١ـ أن يكون على درجة عالية من الصحة بحيث يكون ثابتاً على سبيل التواتر وهو الحديث المتواتر، أو على سبيل شبه القطع، وهو ما ورد من طريقين على الأقل، منفصلين من أول السند إلى آخره .
٢ ـ أو أن يخضع للتجارب الطبية تحت نظر الاختصاصيين كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين مخالفاً بذلك مناهج المحدثين في قبول الحديث .

(٤) وجزم بعض المعاصرين بكونها من الأمور الدنيوية في بحثه «مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية» (ص ٧١)، وقد أتى في بحثه المذكور بثلاثين مثالاً من الأحاديث النبوية الواردة في الطب، وكثير من هذه الأمثلة التي أوردها بها حاجة إلى إعادة النظر إذ يمكن أن يكون لها توجيه مقبول .

وهذه هي طريقة المحدثين وكثير من الفقهاء ممن شرحوا كتب الحديث فنحن نجد عند البخاري مثلاً في كتاب الطب هذه الأبواب: باب السعوط، باب أي ساعة يحتجم، باب الحجامة في السفر، باب الحجامة في الرأس، باب الحجامة من الشقيقة والصداع . . . وغير ذلك.

وكذلك نجد عند المحدثين أصحاب السنن وغيرهم تبويبات مشابهة، ويوافقهم الشراح غالباً على ذلك، فيذكرون استحباب أدوية معينة لأمراض مبنية بناء على ما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية.

بل نجد أن عدداً من العلماء المحققين ألف في الطب النبوي، ومن هؤلاء العلامة ابن القيم، ولو أنه كان يرى أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله في الطب ليست حجة، لم يؤلف كتابه المذكور بل قد صرح بذلك عندما قال: «طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل . .»[1].

ولا بد لي في خاتمة المطاف وأنا أتحدث عن منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية من التذكير بأمرين:

الأمر الأول: من حيث الثبوت: ينبغي عند العمل بالحديث النبوي في الشؤون الطبية أن يكون مقبولاً حسب قواعد المحدثين في ذلك كأن يكون صحيحاً أو حسناً أو ما قارب الحسن، وأن نستبعد الأحاديث الضعيفة، فضلاً عن الموضوعة في هذا المجال، وعليه فإن أحاديث الطب النبوي بها حاجة إلى دراسة حديثية شاملة حسب قواعد المحدثين، وأن يقوم بهذه الدراسة المختصون في الحديث النبوي الشريف وعلومه، المشهود لهم بالعلم والعمل والاتزان.

---

(١) انظر كتاب «الطب النبوي» بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ص ٣٥.

الأمر الثاني: من حيث الدلالة أن يكون للفقهاء دور في تفسير هذه الأحاديث حسب القواعد المتبعة في تفسير النصوص الشرعية والمعروفة بـ «علم أصول الفقه» ليقولوا لنا هل تحمل دلالة الحديث من حيث المشروعية على الوجوب أم الاستحباب أم الإباحة؟ وهل هو منسوخ أم غير منسوخ؟ وهل مفهوم الحديث عام أم خاص؟ وهل مضمون الحديث من الثوابت، أم من الوسائل التي تتغير حسب الزمان والمكان والأحوال والأشخاص؟ وعندها ليست بنا حاجة لرد كثير من الأحاديث بعد ثبوتها ما دامت قواعد تفسير النصوص تحل لنا ما يطرأ من إشكال في فهم هذه النصوص.

ثم أنتقل إلى الحديث النبوي الوارد في ثمرة السفرجل كنموذج تطبيقي في دراسة أحاديث الطب النبوي.

أولاً: نص الحديث والحكم عليه، وشرح مفرداته:

عن الصحابي الجليل طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وبيده سفرجلة، فقال: «دونكها ـ أي خذها ـ يا طلحة؛ فإنها تجم الفؤاد». أخرجه ابن ماجه[1].

هذا الحديث جاء من طرق أخرى يرتقي بها إلى درجة القبول:

فقد أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي، والبزار في مسنده، وابن حبان في كتابه «المجروحين» ثلاثتهم من طريق عبدالله بن حماد الطلحي عن أبيه، عن طلحة بن يحيى عن أبيه عن جده طلحة به بنحوه[2].

---

(١) في «السنن» برقم (٣٣٦٩)، وفي سنده عبدالملك الزبيري، قال عنه الذهبي وابن حجر: «مجهول»، لكن قال البوصيري في الزوائد: «لم ينفرد به عبدالملك».

(٢) «المستدرك» (٤ / ٤١١)، و«مسند البزار» برقم (٩٤٩)، وابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٦٠).

ونقل المزي في «تحفة الأشراف»[١]، عن الحافظ يعقوب بن شيبة أنه صححه، ذكر ذلك الحافظ البوصيري في كتابه «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه»، وأقره[٢].

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»[٣]، ولفظه: «دونكها أبا محمد، فإنها تشد القلب، وتطيب النفس، وتذهب بطخاوة الصدر».

ومن طريقه أخرجه الضياء المقدسي في كتابه «الأحاديث المختارة»[٤]، وكذلك أخرجه الضياء المقدسي في كتابة المذكور[٥] من طريق أبي نعيم بسندهم إلى سليمان بن أيوب، حدثنا أبي، عن جدي، عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: أتيت النبي ﷺ وهو في جماعة من أصحابه وفي يده سفرجلة يقلبها، فلما جلست إليه دحا بها نحوي ثم قال: دونكها أبا محمد فإنها تشد القلب، وتطيب النفس، وتذهب بطخاوة الصدر».

ورواه الهيثم بن كليب في «مسنده»[٦] من طريق طلحة بن يحيى عن أبيه عن جده به بنحوه.

ويشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي أخرجه الطبراني في كتابه «المعجم الكبير»[٧]: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء جابر بن عبدالله إلى النبي ﷺ بسفرجلة قدم بها من الطائف، فناوله إياها، فقال النبي ﷺ: «إنه يذهب بطخاوة الصدر، ويجلو الفؤاد».

---

(١) (٤/ ١٦١٦).
(٢) (٢/ ١٠٠).
(٣) برقم (٢١٩).
(٤) (٣/ ٣٩) برقم (٨٣٩).
(٥) برقم (٨٤٠).
(٦) برقم (١١).
(٧) برقم (١١٢٠٩).

قال الهيثمي: «رواه الطبراني من رواية علي القرشي، عن عمرو بن دينار، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات»[1].

وفي مسند الفردوس للديلمي: عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً قال: «كلوا السفرجل على الريق فإنه يذهب وغر الصدر»، ونسبه صاحب كنز العمال إلى ابن السني وأبي نعيم أيضاً[2].

ومع هذه المتابعات والشواهد لا يصح تضعيفه، كما ذهب إليه ابن الجوزي في «العلل المتناهية»[3].

ولابد لي من الإشارة إلى عادة أكل السفرجل عند الحوامل، والتي انتشرت في الأوساط الشعبية في بلاد الشام، زعماً منهن أن الإكثار من أكل السفرجل يحسن الولد، وقد وجدت أثناء بحثي حديثاً أورده صاحب «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال»[4] عن عوف بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «كلوا السفرجل فإنه يجم الفؤاد، ويشجع القلب، ويحسن الولد». لكني لم أجد سنده حتى أحكم عليه.

وأورد الكليني محمد بن يعقوب، وهو من علماء الشيعة في كتابه «فروع الكافي»[5] بسنده إلى أبي عبدالله الحسين رضي الله عنه أنه قال: «من أكل سفرجلة على الريق طاب ماؤه، وحسن ولده».

---

(١) في «مجمع الزوائد» (٥ / ٤٥).

(٢) «مسند الفردوس» (٣ / ٢٤٢)، و«كنز العمال» برقم (٢٨٢٥٩).

(٣) وأغرب جداً الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي، عندما قال: حديث أكل السفرجل يذهب بطخاء القلب؛ كذب...» في كتابه «الأحاديث المشكلة في الرتبة» (ص ٣٢٢).

(٤) (٤ / ١١) المطبوع بهامش «مسند أحمد بن حنبل».

(٥) (٤ / ٣٧٠).

شرح مفرداته:

دونكها: أي خذها.

تجم الفؤاد: أي تريحه، وتكمل صلاحه، ونشاطه.

يذهب بطخاوة الصدر: الطخاء الثقل والظلمة، يقال: ليلة طخياء وطاخية.

وقال أبو علي القالي في كتابه «الأمالي»[1]: الطخاء: الغيم الكثيف، وحقيقة معناه عنده: أي ما جلل القلب حتى يسد الشهوة، ولذا قيل للسحاب طخاء؛ لأنه يجلل السماء، وكذلك قيل لليلة المظلمة طخياء؛ لأنها تجلل الأرض بظلمتها.

ثانياً: ترجمة راوي الحديث:

وراوي الحديث: الصحابي الجليل طلحة بن عبيدالله.

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام.

وأحد الستة: أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر رضي الله عنه.

وأحد الخمسة: الذين أسلموا من سادات الصحابة على يدي أبي بكر رضي الله عنهم، وهم: عثمان، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير، وسعد.

وكان يقال له: طلحة الخير، وطلحة الجود، وطلحة الفياض.

قتل في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين من الهجرة[2].

---

(١) (٢ / ٢٧).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١ / ٢٣).

ثالثاً: تاريخ ثمرة السفرجل، واسمها العلمي:

وقبل أن أتحدث عن السفرجل من الناحية الطبية، أبدأ أولاً بالكلام على تاريخ معرفة السفرجل، وما هي فصيلته، وفي أي الفصول ينمو، وما هو الاسم العلمي له؟ وبعض الفوائد اللغوية التي تتعلق به: فشجيرة السفرجل ترجع للعام ٤٥٠ ق. م. حيث كانت تشبه التفاحات الذهبية للاسبريد التابعة لمعبد زيوس في أولمبياد، حيث كان اليونان يعرفون هذه الثمار منذ القرن السابع قبل الميلاد، وقد جاءت هذه الثمرة (السفرجل)، من آسيا الغربية، ـ حيث كانت شجيراته أليفة المنظر ـ من تركيا إلى شمالي إيران، وقد قدمت ثمار السفرجل للآلهة منذ القديم لأريجها الطيب، حيث كانت تعد بمثابة عربون للحب، لذلك كان الناس يتهادونها على أساس المحبة، وقد أصدر صولون في القرن السادس ق. م قراراً يقضي باعتبار ساحة السفرجل المكان الرسمي لممارسة شعائر الأعراس. .

ومنذ أبقراط حتى القرن السابع عشر ظل السفرجل يعد أحد أسلم الأغذية وأنفعها، ثم إن قدراته الانقباضية أفردت له مكاناً مميزاً في الطبابة القديمة، حيث عومل لفترة طويلة على أنه ترياق.

أما اليوم؛ فبعد انتشار زراعته، ومعرفة مزاياه، اعتنى به العلماء، فوضعوا له اسماً عربياً هو سفرجلية، والاسم العلمي: cotonester salicifoliat، والاسم المرادف: safarjaliah.

وتعرفوا على نوع فصيلته: ففصيلته وردية.

وتعرفوا على خواصه بشكل عام، فمثلاً: أنواعه: منها الحلو والحامض والطويل والمدحرج والمنهّد لشبهه بنهود الأبكار.

رابعاً: خواصه الزراعية:

وأما خواصه الزراعية: فهو نبات شجري دائم الخضرة، وهو تزييني

وطبي وعطري، وأنه يتكاثر بالعقل والبذور في المشاتل، وأن الجزء المستعمل منه هو الأوراق والثمار والجذور، وأنه يتراوح ارتفاعه بين ٥ ـ ٨م، وساقه قصيره، أغصانها فارشة منبسطة، أوراقها عابلة، بسيطة كاملة متقابلة، بيضية الشكل، قلبية القاعدة، أزهارها خماسية التركيب، تُزهر خلال شهري أيار وحزيران، وتقطف الثمرات عند نضجها، وتوضع جانباً فترة من الزمن، ثم تقطع وتستخرج البذور منها، وتجفف بحرارة لا تتعدى ٥٠ درجة مئوية، وأنها تحفظ جيداً بمعزل عن الرطوبة والتلوث، وتنمو في بيئة شبه رطبة، ونصف جافة، في المناطق المعتدلة والدافئة، وفي معظم الأراضي. وأن موطنها: حوض البحر المتوسط وأوروبا والصين، وتنتشر في الحدائق والبساتين، ومناطق التشجير والأسوار[١]. .

وقد جاء ذكره في كل القواميس والمعاجم اللغوية، وسمي به رجل من الرواة، وقيل له: سفرجلة، والسفرجلانيون بيت بدمشق الشام، ذكر ذلك الزبيدي صاحب «تاج العروس»[٢].

وقال صاحب «المنجد في اللغة والأعلام»[٣]، في تعريفه: «إنه شجر من فصيلة الورديات، مهده الأصلي إيران، يزرع في جميع البلدان المعتدلة المناخ، تؤكل ثماره نيئة، وتطبخ بالسكر فتصنع منها المربيات».

---

(١) في هذه المعلومات ارجع إلى:
١ ـ «المعجم الطبي النباتي» للعماد مصطفى طلاس. (ص ٤١٣).
٢ ـ «معجم النباتات الطبية» ليوسف أبو نجم. مكتبة لبنان. ط ١٩٩٢. (ص ٦٧).
٣ ـ «معجم الأعشاب والنباتات الطبية» لحسان قبيسي. ط ١٩٩٣م. بيروت. (ص ٣٥٥).
٤ ـ «حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار» لأبي القاسم بن محمد الوزير. ١٩٨٥م.

(٢) (٦ / ٣٧٦).

(٣) (ص ٣٣٧).

خامساً: ثمرة السفرجل في الطب القديم:

قال ابن سينا (٤٢٨هـ) في كتابه «القانون في الطب»[١]، وهو يتحدث عن السفرجل: إنه يسكن العطش، ويقوي المعدة القابلة للفضول شرباً به، وذكر من خواصه أنه قابض مقوٍّ.

وقال الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ) في «تذكرة أولي الألباب»[٢]: «منابته بالشام والروم، وأجوده الكائن بقرية من أعمال حلب تسمى مرغيان. وهو مفرح، يذهب الوسواس، والكسل، وسقوط الشهوة، والخفقان، وضعف الكبد واليرقان، ومطلق الأبخرة، والصداع العتيق، والنزلات شماً وضماداً... وأكله على الجوع قابض، وعلى الشبع مسهل لشدة عصره للمعدة...».

سادساً: السفرجل في الطب الحديث:

١ ـ التعرف على العناصر الغذائية المكونة له[٣]:

ـ ظهر في تحليله أنه يحوي كثيراً من الأملاح الكلسية والمواد الهضمية وحامض التفاح، وفيه ٧١٪ من الماء، و٥٪ من البروتين، و١٢،٨ من الألياف، و٧،٥ من السكر، و٣ مواد دهنية، و١٤،٩ رماد، و١٣ بوتاس، و١٩ فوسفور، و٥ كبريت، و١٩ صودا، و٢ كلور، و١٤ كلس، ومقدار وفير من فيتامينات أ، ب، ج، پ.

٢ ـ خصائصه (فوائده):

جاء في المعجم الطبي النباتي: غرض الاستعمال: «مشهٍ، خافض

---

(١) (١ / ٦٥٧).

(٢) (ص ٢٦٩).

(٣) «ابنا بسطام النيسابوريين «طب الأئمة». ط١ . ١٩٩٤م. (ص ٦٢٩).

للحرارة، مقشع صدري، حالة التيفوئيد، مفيد للمعدة، ضد الالتهابات، ملين، خفيف، ضد التشنج..»[1].

وفي «معجم النباتات الطبية»[2] للدكتور يوسف أبو نجم: تستعمل الثمرة داخلياً كنقيع مغلي:

- لمعالجة عسر الهضم، لما لها من خصائص مساعدة على الهضم، نافعة للمعدة.
- لمعالجة الإسهال.
- لمعالجة حالات النزف المختلفة لما لها من خصائص قابضة.
- لمعالجة أوجاع الحلق.
- لمعالجة حالة التقيؤ.
- لمعالجة القهم (قلة الشهوة للطعام).
- لتنشيط عمل الكبد.

وتستعمل البذور داخلياً كنقيع مغلي:

- لمعالجة السعال.
- لمعالجة النزلات المعدية أو المعوية.

وتستعمل البذور المسحوقة خارجياً: لتحضير ضمادات منعشة للجروح، والالتهابات المفصلية، وتشققات الثدي واليدين.

وتستعمل أحياناً الأزهار كنقيع مغلي لتهدئة السعال.

* * * * *

---

(١) للعماد مصطفى طلاس (ص ٤١٣).
(٢) (ص ٩٧).



الفصل الثالث

حكمة النبي ﷺ في إدارة الأزمات، وحله المشكلات

وفيه مبحث:

المشكلات التي نشأت عن الهجرة إلى المدينة المنورة، وكيف عالجها النبي ﷺ نموذجاً.



المشكلات التي نشأت عن الهجرة إلى المدينة المنورة وكيف عالجها النبي ﷺ؟

إن أهم المشكلات التي نشأت عن الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة مشكلتان هما: المشكلة الأمنية، والمشكلة الاقتصادية.

ذلك لأن المسلمين استجابوا لأمر الرسول ﷺ بالهجرة ليلتحقوا به، ويتعاونوا على قيام الإسلام وحمايته.

وإذا ما علمنا أن الرسول ﷺ والمسلمين معه انتقلوا إلى مدينة صغيرة فيها مجموعة من السكان، تعددت أجناسهم، واختلفت دياناتهم، وكان هذا الانتقال فراراً من بطش عدوهم، ومضايقته لهم، تاركين وراءهم كل شيء، فقد تركوا البيوت والأموال، وجاءوا هذه المدينة الصغيرة في مساحتها ومواردها، فلا تسأل بعد ذلك عن الآثار الكثيرة التي خلفتها هذه الهجرة، والتي تتطلب حلولاً ومعالجات.

وقد جاءت الإشارة واضحة في القرآن الكريم عن هذا الوضع الجديد، ولكن في معرض المنة على هذه الأمة بأن أخرجهم من هذا الوضع المتأزم الخطير. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1].

إن هذا النص القرآني يوضح بشكل قاطع ويشير إشارة صريحة إلى المشكلتين اللتين نشأتا عن الهجرة إلى المدينة، وهما:

- وجود الخوف وعدم الأمن: ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره﴾.

- ونقص في الرزق: ﴿ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾.

إن النص يشير إلى أن الأمة متمثلة بقائدها النبي ﷺ قد تجاوزت هذه المحنة، وحققت بتوفيق الله ورعايته الأمن والطمأنينة، كما حققت الأمن الغذائي بعد نقص في المواد والأرزاق. وهذا النجاح المذكور في هذه الآية لا شك أنه قد حدث في إطار سنن الله الكونية في الأرض، وعن طريق الأخذ بالأسباب، ولهذا كان لزاماً علينا في فهم آليات هذا النجاح الرجوع إلى السنة النبوية، وإلقاء الضوء على المعالجات النبوية والمفردات العملية التي طبقت في العهد المدني بعد الهجرة، وكان لها أثر في هذا النجاح.

أولاً: كيفية معالجة المشكلة الأمنية:

قال تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره﴾.

في هذه الآية حديث صريح عن الجماعة المؤمنة القليلة المستضعفة الخائفة التي هاجرت من مكة إلى المدينة، ونشأ عن هجرتها مشكلات تحتاج إلى حلول ومعالجات، فكيف تمت معالجتها من قبل القيادة النبوية؟

إن تصوري للعلاج كان ضمن محاور أربعة استطاع النبي ﷺ من خلالها أن يعالج هذه المشكلات، وهي:

الجانب الإيماني، والجانب الاجتماعي، والجانب السياسي، والجانب الديني.

الجانب الإيماني والاجتماعي:

لقد عالج النبي ﷺ المشكلة الأمنية من خلال التأكيد على المفردات الإيمانية، ولهذا كان أول عمل قام به عليه الصلاة والسلام بعد هجرته إلى المدينة هو بناء المسجد، ليكون موضعاً لممارسة هذه المفردات، حيث يؤدي المسلم الصلاة فيه خمس مرات في اليوم والليلة، وكان لهذا أثر بيّن في تعزيز جانب الأمن، لما في هذه الصلاة في المسجد من صلة بالله سبحانه وتعالى، واعتماد عليه.

وفي إعلان الأذان خمس مرات في اليوم والليلة، ذلك الأثر الكبير في طمأنينة المسلم وثبات قلبه.

وقد حث رسول الله ﷺ على الجوانب الإيمانية الأخرى وأكد عليها، وذلك مثل: الأمر بالصبر والشكر، وكثرة العبادة والذكر، والاعتماد على الله في حالتي الخوف والرجاء، والتوكل على الله الذي دعا إليه القرآن في آيات كثيرة، وحث عليه بعد السعي، ولاشك أن إحياء هذه المعاني في قلب المسلم تعطيه دفعة إيمانية تقويه على معالجة مظاهر الضعف عنده، فعندما أشاع عليه الصلاة والسلام هذا المعنى في قلوب المسلمين، أدى ذلك إلى معالجة جانت مهم من جوانب المشكلة الأمنية.

إن النبي عليه الصلاة والسلام استطاع أن يعالج المشكلة الأمنية في جانبها النفسي من خلال بناء المسجد، وهي خطوة من أعظم الخطوات وأهمها في تحقيق هذا الجانب المهم في حياة الإنسان.

فالمسجد لم يكن مكان عبادة فقط، وإنما كان مكاناً لاجتماع المسلمين، وتناول مشاكلهم، وإيجاد الحلول المناسبة لها، وما زال المسجد إلى يومنا هذا مركزاً لحل مشكلات المسلمين الاجتماعية، ولا سيما في الغربة وبلاد الغرب. ولقد قام الرسول ﷺ بمعالجة المشكلة الاجتماعية من بداية

دخوله إلى المدينة، حيث إن أول كلمة سمعها أهل المدينة من رسول الله ﷺ، وهو يمشي في طرقات المدينة:

«أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام»[1]. فهذه إرشادات مهمة تخفف من وطأة الغربة، وتحقق الأمن في قلب المسلم، وفي مجتمعه: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، والصلاة في دياجي الظلام، أعمال توصل صاحبها إلى الجنة.

كما أسس دعائم المؤاخاة؛ يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2]. وهذه المؤاخاة سلوك حسن أرشد إليه النبي ﷺ لتحقيق الاندماج بين المهاجرين والأنصار في المجتمع الجديد، ذلك لأن العرب كان قد سادت فيهم نعرات قائمة على العصبية، وهذه مشكلة كبيرة سادت حياة العرب قبل الإسلام، وقد أراد النبي ﷺ من وراء هذه المؤاخاة تحقيق المبدأ العام في الإسلام، المنصوص عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . .﴾[3].

الجانب السياسي:

لقد عالج رسول الله ﷺ هذه المشكلة عن طريق:

أولاً: بعث السرايا.

ثانياً: عن طريق الأحلاف السياسية.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٣٧٨٤)، والترمذي في «جامعه» برقم(٢٤٨٥) وقال: حديث صحيح، وابن ماجه (١٣٣٤).

(٢) سورة المائدة: آية ٢.

(٣) سورة الحجرات: آية ١٠.

ثالثاً: معالجة مشكلة النفاق.

١ ـ بعث السرايا:

لقد كان للسرايا أهداف كثيرة، منها ما هو دفاعي؛ يقصد منه حماية المدينة من الهجمات الخارجية المنظمة عليها، ومنها ما هو هجومي؛ ويقصد منه عرقلة تجارة قريش، ومحاصرتها اقتصادياً. وإذا ما أردنا الحديث عن السرايا حسب مفهوم المصطلحات العسكرية المعاصرة، فإن السرايا أشبه ما تكون بالقوات الخاصة، وعليه فإن الرسول ﷺ هو أول من أحدث هذا النظام. والقوات الخاصة: هي القوات التي يوكل إليها القائد مهمات خاصة، وهذا يدل على سبق الإسلام في إحداث نظام عسكري متطور، حيث إن الجيش هو الذي يخوض المعارك لحماية الدولة من أي خطر يتهددها، أما القوات الخاصة؛ فهي قوة على مستوى عالٍ من الكفاءة العسكرية، لا يتدخلون في سير المعارك إلا في الأوقات الحرجة.

أثر ذلك في معالجة مشكلة الأمن:

إن النبي عليه الصلاة والسلام عندما هاجر إلى المدينة كان يسعى لتحقيق هدف عظيم، مفاده في قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[١].

وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق تنفيذ خطة شاملة ـ ليس لتحرير جزيرة العرب فحسب ـ ولكن لتحرير الأرض كلها.

فلم تكن حروب الرسول ﷺ وسراياه ردود فعل على تحركات المشركين وغيرهم من الأعداء؛ ولكنها كانت خطوات تدريجية لتنفيذ خطة استراتيجية، يتم من خلالها تحرير جزيرة العرب أولاً، ومن ثم تحرير الأرض

---

(١) سورة الأنفال: آية ٣٩.

كلها، ونشر دين الله فيها.

ونعني بتحرير الأرض؛ أي: تحريرها من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وحماية الإنسان من نفسه أولاً، ومن مجتمعه ثانياً، والارتفاع به إلى ما يريده الله له من تكريم، رحمة به ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، وإكراماً له لقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ. . .﴾[2].

وإذا كان الرسول ﷺ قد جاء رحمة للعالمين، ومنظماً لقاعدة التكريم الإلهي للإنسان، فإنه لم يبدأ بتنفيذ خطته الاستراتيجية دون إعلام أو إخبار، وإنما بعد عرض الإسلام وبيان حقائقه ومزاياه عرضاً سلمياً لا عسكرياً، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[3].

ولتنفيذ ذلك لا بد من إيجاد قاعدة يعتمد عليها في تنفيذ الخطة المذكورة، ومكة هي المؤهلة لذلك؛ لموقعها الجغرافي والديني، وقريش هم المؤهلون لذلك؛ لمزايا وخصائص قد اتصفوا بها، فهم الأقدر على حمل هذه الرسالة، وحمايتها، لأنهم مصدر القوة في جزيرة العرب، وهم أهل الزعامة فيها.

ولكن قد مضى زمن طويل، ولم يوافقوا على حمل هذه الرسالة، وحمايتها، ويقوموا بهذه المسؤولية الخطيرة، مما جعل النبي ﷺ يفكر بالهجرة والانتقال عن مكة إلى المدينة، لا سيما وقد وجد من يحمل رسالته ويحميها، ووافق النبي ﷺ على ذلك، ريثما يعود القوم إلى رشدهم، ويقومون بأعباء هذا الدين، نظراً لما يتمتعون به من ثقة واحترام ـ ليس في جزيرة العرب فحسب ـ بل حتى خارج الجزيرة.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.
(٢) سورة الإسراء: آية ٧٠.
(٣) سورة الأنفال: آية ٤٢.

قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[1].

وهو ﷺ يريد منهم أن يدخلوا هذا الدين طوعاً لا كرهاً، سلماً لا حرباً؛ ولهذا الهدف أراد النبي ﷺ إضعاف قريش اقتصادياً وسياسياً.

أما إضعافها اقتصادياً؛ فكان عن طريق إرسال السرايا إلى كل الطرق التجارية التي كانت قريش تسلكها بهدف عرقلة تجارة قريش، ومحاصرتها من كل الاتجاهات، مما يؤدي إلى إضعافها واستسلامها في آخر المطاف، فكانت هذه السرايا تسلك الطرق المؤدية إلى الشام شمالاً، والطرق المؤدية إلى اليمن جنوباً.

كما أن في هذه السرايا إظهار قوة المسلمين، وأخذ ما يستطيعون أخذه من هذه القوافل التجارية تعويضاً عما خسره المسلمون من بيوت وأموال في مكة المكرمة، وأما إضعافها سياسياً فكان عن طريق نظام الأحلاف.

٢ ـ نظام الأحلاف:

لقد استفاد الرسول ﷺ من قوانين كانت سائدة في جزيرة العرب، ألا وهي نظام الأحلاف، ومن الشواهد البينة على ذلك: ما قام به عليه الصلاة والسلام من التحالف مع الأوس والخزرج على حمايته، وكان الأوس والخزرج لهم حلف مع اليهود، فأبقى النبي ﷺ على هذا التحالف، ولم يبطله، مما أجبر اليهود على احترام المسلمين في المدينة مراعاة لحلفهم مع الأوس والخزرج.

كما أقام حلفاً مع القبائل الموجودة خارج المدينة، وهي: بنو ضمرة في الأبواء، ويقصد من هذا الحلف عرقلة قوافل قريش التجارية من مكة إلى الشام، وبنو مدلج في ينبع، ويقصد من هذا الحلف محاصرة قريش بحرياً،

---

(١) سوورة قريش: آية ١، ٢.

وقد قطع بذلك عليها إمكانية اللجوء إلى مصر لإنعاش اقتصادها. كما أقام علاقات حسن جوار ومعاهدات مع كل من قبيلة «غفار»، و«أسلم»، و«جهينة»، و«مزينة»، وغيرها من القبائل[1].

إن هذه الأحلاف حققت أهدافها، فقد كانت في البداية سبباً للحماية وفي إضعاف قريش سياسياً، لكنها على المدى البعيد كانت سبباً في دخول هذه القبائل في الإسلام، وألقاب الصحابة الآتية شاهدة على ذلك: الغفاري والأسلمي والجهني والمزني والضمري... وغير ذلك.

٣ ـ مشكلة النفاق:

الحديث عن مشكلة النفاق كظاهرة لها أسبابها ونتائجها ليس هذا مكان تفصيله، ولكن الذي يهمنا هنا، أن النبي ﷺ عالج هذه المشكلة الطارئة في المدينة علاجاً سياسياً لا عسكرياً، لقد اتخذ عليه الصلاة والسلام أسلوب المعالجة النفسية، وذلك كالطبيب النفسي الذي يعالج أناساً قد أصيبوا بأمراض نفسية مزمنة، ذاك لأن المنافق قد أصيب بمرض ضعف الشخصية، ولم تعد عنده المقدرة على مواجهة القضايا بصراحة وشجاعة، فبدأ يسلك الطرق الملتوية لتحقيق أهدافه، ولهذا كان من الأسلم معالجته نفسياً، لإخراجه من هذا الوضع الخطير.

الجانب الديني:

أراد النبي ﷺ أن يعيش المسلمون في المدينة مع اليهود بسلام، فسارع إلى كتابة وثيقة عرفت باسم «صحيفة المدينة»[2]، نظم من خلالها طريقة الحياة

---

(١) انظر نصوص هذه المعاهدات في كتاب «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» للعلامة المحقق الأستاذ محمد حميد الله.

(٢) انظر نص الصحيفة في «السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ١١٠)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٨ / ١٠٦)، «الأموال» لأبي عبيد (ص ٢٩١)، «البداية والنهاية» لابن كثير(٣ / ٢٦٣).

الجديدة في المدينة، على أساس التعايش، وهي فكرة طرحت لأول مرة في تاريخ الأديان.

والإسلام دعا إلى فكرة التعايش، ووضع خطوات واضحة لتنفيذ هذه السياسة، وتهدف هذه الفكرة إلى تحقيق الأمن في المجتمع بداية، ومن ثم انصهارهم في المجتمع الإسلامي، ودخولهم الإسلام في النهاية.

ولعل أهم هذه الخطوات التي وضعها الإسلام لتحقيق هذا الهدف هي:

إباحة الزواج من أهل الكتاب، وإباحة أكل طعامهم، وإباحة التعامل التجاري معهم، والإحسان إليهم في التعامل الاجتماعي، وتنظيم الحوار معهم، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، وتنظيم سائر أشكال التعامل معهم انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

ولا شك أن هذا التعامل بكلّ صوره، وهذه الخطوات التي وضعت موضع التنفيذ تنطلق من هاتين الآيتين، وهما اللتان أرشدتا إلى اتباع هذه السياسة، وبذلك تمَّ التفريق الواضح بين المسالمين من أهل الكتاب، وبين الحربيين المعتدين منهم.

ثانياً: كيفية معالجة المشكلة الاقتصادية:

أما المشكلة الاقتصادية؛ فإن المتتبع لكتب الحديث والسيرة يجد أن الرسول ﷺ وضع حلولاً متنوعة لمعالجة المشاكل الاقتصادية، التي نشأت عن

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٦.

(٢) سورة الممتحنة: آية ٨، ٩.

الهجرة إلى المدينة، ولعل من أهم هذه الحلول:

أولاً: المؤاخاة. وقد حققت نوعاً من أنواع التكامل الاقتصادي، ذلك لأن الأنصار كانوا يجيدون الزراعة، والمهاجرون يتقنون التجارة، ومن ثم كان لهذا التكامل أثره في حل جزء كبير من المشكلات الاقتصادية التي ظهرت بعد الهجرة.

ثانياً: فتح الإسلام أبواب العمل، وشجع عليه، ونفر من العجز والكسل، وأمر بالاستعاذة منه:

قال ﷺ: «من بات كالاً من عمل يده؛ بات مغفوراً له»[1]. وقال ﷺ: «وأعوذ بك من العجز والكسل»[2]. وسئل النبي ﷺ عن أفضل الكسب؟ فقال: «بيعٌ مبرورٌ وعمل الرجل بيده»[3]. ولقد فهم الصحابة هذه المعاني، فأخذوا يسعون ويعملون، وتمت الاستفادة من الصحابة جميعهم، حسب خبرات كل واحد منهم، ومؤهلاته، وطاقاته.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك: الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف، ومقولته الرائعة معروفة، وهي: «دلني على السوق»[4]. وقد علمنا هذا الصحابي درساً عملياً رائعاً نستفيد منه في حياتنا المعاصرة، وهو الدخول في عالم الاقتصاد من أوسع أبوابه.

ثالثاً: الأمر بإحياء الأرض الموات. قال عليه الصلاة والسلام: «من

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٧٥١٦)، وانظر «مجمع الزوائد» للهيثمي (٤ / ٦٣).

(٢) قطعة من حديث نبوي أخرجه البخاري في «صحيحه» كما في «فتح الباري» (١١ / ١٣٧).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٥٨٣٦)، والحاكم في «مستدركه» (٢ / ١٠).

(٤) عن أنس قال: قدم عبدالرحمن بن عوف ـ أي إلى المدينة ـ فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق...». رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٩٣٧).

أحيا أرضاً ميتة فهي له»[1]. وكان لهذا الأمر أثر كبير في إحياء الأراضي الشاسعة بالزراعة، والقضاء على البطالة، ولو طبق هذا الأمر في العصر الحديث لكان العالم الإسلامي مصدراً للغذاء لسائر الشعوب الإسلامية.

رابعاً: شرع الرسول ﷺ عقد المزارعة، وذلك للاستفادة من الأراضي الزراعية والخبرات والجهود البشرية، وهذا اهتمام واضح بالقطاع الزراعي.

خامساً: شرع الرسول ﷺ عقد المضاربة (مال+ جهد)، والمضاربة من أعظم الحلول التي قدمها الإسلام كبديل عن الربا المحرم، وهي من العقود التي تحرك عجلة الاقتصاد، للاستفادة من رؤوس الأموال، والجهود البشرية العاطلة عن العمل، في عمل مشروع.

سادساً: شجع أرباب الحرف والصناعات على مزاولة العمل في الحرف والصناعات والناظر في كتاب «التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية» للعلامة الكتاني يجد أكثر من خمسين حرفة وصنعة كانت منتشرة في المدينة المنورة إبان العصر النبوي[2].

وكذلك نجد أن النبي ﷺ اتخذ تدابير مهمة لحماية الاقتصاد، وهي:

١ ـ تحريم الربا: وبذلك وجه أول ضربة لليهود الذين كانوا يسيطرون على اقتصاديات المدينة، ويتعاملون بالربا تعاملاً فاحشاً مستغلين حاجة الناس وعوزهم، مما أدى إلى تكريس الثروة في أيديهم، وعدم تداولها بين الناس

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٣٠٧٣)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٣٧٨).
وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦ / ٤٣٢): «وإحياء الموات: أن يعمد الشخص للأرض لا يعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقي، أو الزرع، أو الغرس، أو البناء فتصير بذلك ملكه...».

(٢) ولي في ذلك بحث بعنوان: «الحرف والصناعات في المدينة المنورة إبان العصر النبوي» يسر الله نشره.

بالطرق المشروعة، كالعمل في التجارة والصناعة والزراعة والمضاربة. . . وغير ذلك.

٢ ـ تحريم الاحتكار: قال عليه الصلاة والسلام: «لا يحتكر إلا خاطىء»[١]. وهذه ضربة موجعة ثانية للمحتكرين الذين يتحكمون بالأسواق، ويبيعون السلع بالربح الفاحش، مستغلين حاجة الناس إليها، بسبب فقدها من الأسواق، وفيه حث على جلب الأرزاق، مما يحقق التوازن المنشود في الأسعار نظراً لتوافرها في الأسواق، تطبيقاً لقانون سنه رسول الله ﷺ: «دعوا الناس يَرزُق الله بعضهم من بعض»[٢].

٣ ـ تحريم الغش: قال عليه الصلاة والسلام: «من غشنا فليس منا» رواه مسلم. والغش من أهم معوقات الحركة الاقتصادية، فهو يورث عدم الثقة والأمانة في التعامل اليومي في المجتمع.

ولا شك أن هذه التدابير من النبي ﷺ كان يقصد منها إنعاش الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة، والرقي بها إلى أعلى مستوياتها، لتقوم الدولة الإسلامية بدورهاالمنشود في محاربة الفقر، وإيجاد المواطن الصالح السعيد، في ظل الدولة الإسلامية، ومن ثم يؤدي العبادة الخالصة لله، والتي ما خلق إلا من أجلها. قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[٣].

وفي هذا الإطار لا بد لنا من الإشارة إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يسأل ربه الغنى، ويستعيذ بالله من الفقر في جملة من الأحاديث، وهي:

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٥٧٥٨)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٦٠٥) (١٣٠)، وأبو داود (٣٤٤٧)، والترمذي (١٢٦٧)، وغيرهم.

(٢) قطعة من حديث رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٤٢٩١)، ومسلم في «صحيحه» برقم(١٥٢٢).

(٣) سورة الذاريات: آية ٥٦.

«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[1]، ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»[2]... وغير ذلك.

وفي هذه النصوص إرشاد واضح من النبي ﷺ إلى الاهتمام كل الاهتمام بالوسائل التي تجعل الأمة قوية في اقتصادها، لتأخذ موقعها في قيادة العالم إلى حيث السعادة والأمن والأمان.

إن رسول الله ﷺ كان ينطلق في كل ما تقدم من قاعدة التكريم الإلهي للإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3].

إن الله عز وجل لم يخلق الإنسان من أجل أن يشقى ويعرى ويجوع، وإنما سخر له ما في السموات والأرض جميعاً، تحقيقاً لتكريمه حتى يتسنى له القيام بالمهمة التي خلق من أجلها، وهي العبادة! وإذا حالت بين المسلم وبين الغنى ظروف؛ فعليه أن يصبر ريثما يتمكن من الولوج إلى دائرة الغنى، وهكذا يعيش في دائرتي الشكر والصبر، وإن كان الغني الشاكر أحب إلى الله من الفقير الصابر، وفي كل خير.

وبهذا نكون قد أتينا على أهم المشكلات الناشئة عن الهجرة إلى المدينة، واطلعنا كذلك على أهم الحلول والمعالجات النبوية لهذه المشكلات.

وقد حققت هذه المعالجات نتائج عظيمة كان من آثارها قيام دولة الإسلام، التي قادت البشرية إلى شاطىء البر والأمان.

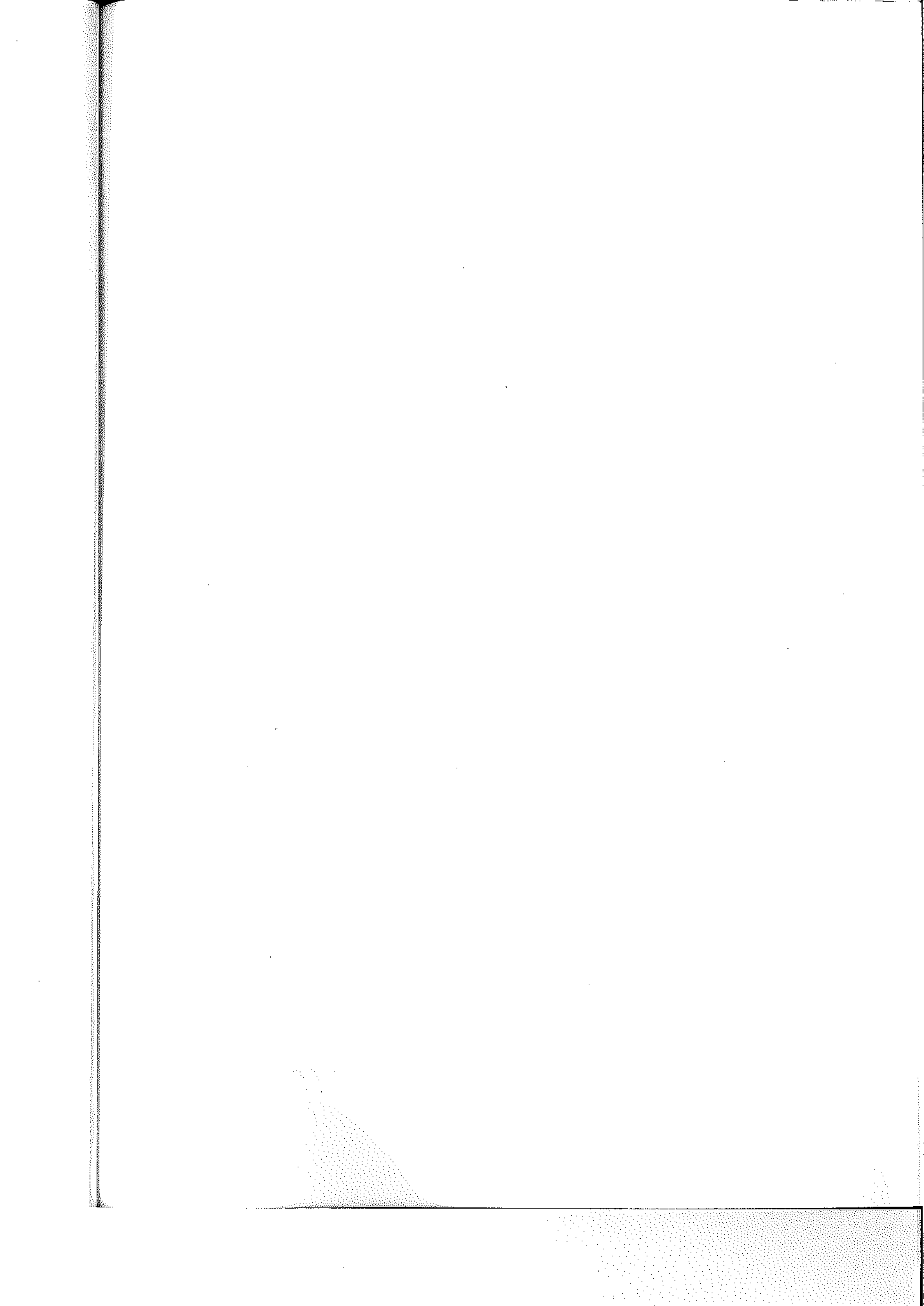
* * * * *

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١ / ٤١١، و٤١٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٢١)، والترمذي في «جامعه» (٣٤٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده (٥ / ٤٢)، وأبو داود في «سننه» برقم (٥٠٩٠).

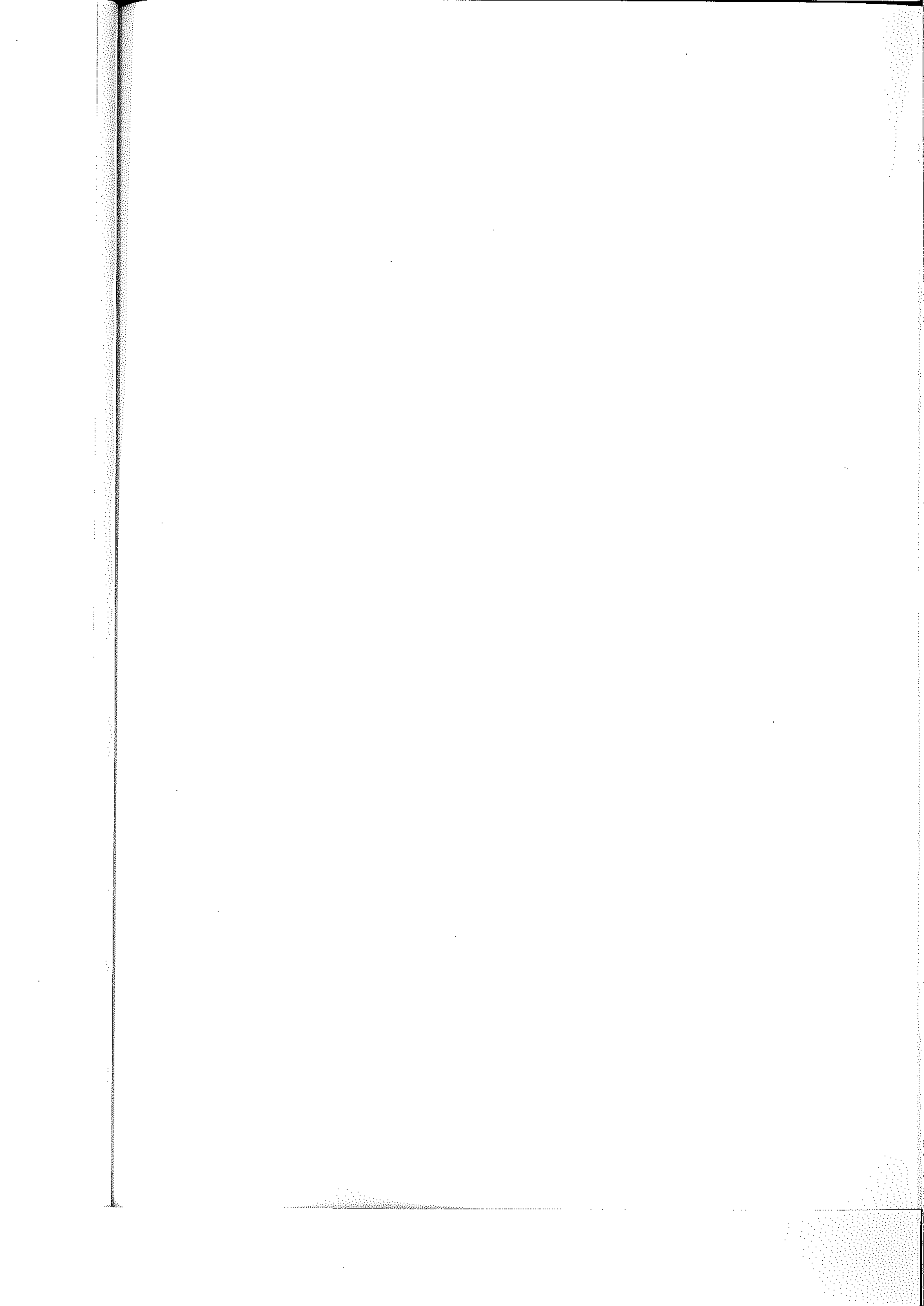
(٣) سورة الإسراء: آية ٧٠.



الفصل الرابع
نحو دراسة جديدة لحياة الصحابة

وفيه مبحث:

الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه من خلال الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ نموذجاً.



الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه من خلال الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ

إن الاطلاع على حياة الرجال، والبحث عن آثارهم ومآثرهم من أهم الأسباب التي تبعث النفس على محبتهم، واتباعهم، والسير على منهاجهم، ومن المعلوم أن الاتباع لا يكون إلا بعد معرفتهم، ودراسة أحوالهم ـ لأن معرفة الشيء فرع عن تصوره ـ، وسوف ندرس حياة واحد من هؤلاء الرجال: هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

كثيراً ما كان يستهويني الاطلاع على حياته، ويزداد عندي الشوق كلما طرق سمعي حديث يرويه عن النبي ﷺ، فإنك تلمس من خلاله علماً غزيراً، وفكراً مستنيراً، وعقلاً راجحاً، وسمتاً حسناً وبحثاً عن الخير، ومحبة صادقة له..

فهو يتحيَّن الفرص ليقتنص الشوارد والأوابد، وليزداد علماً ومعرفة من الرسول المعلم صلوات الله وسلامه عليه.

وهو ﷺ إذ يجد فيه هذه المحبة، وهذا الحرص فإنه يبادله الحب نفسه، ويحرص عليه كل الحرص..

ونحن الآن مع مجموعة من الأحاديث الشريفة التي رواها هذا الصحابي الجليل، ومن خلالها سوف نلقي الضوء على هذه الشخصية الفذة، لنتعرف على كثير من المزايا التي امتازت بها، والأوصاف الجميلة التي تحلت بها.

كان رضي الله عنه ذا رأي ثاقب، وفهم صائب، وعلم جم، وكان ذا عقل نيّر، وخلق حسن، قد وسع الناس بأخلاقه فأحبوه.. وأحبه رسول الله ﷺ، وهذا دليل على محبة الله تبارك وتعالى له: «أخذ بيده يوماً ثم قال: يا معاذ إني لأُحبك، فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك..».

انظر جمال هذه الكلمات التي صدرت عن النبي ﷺ وحلاوتها.. ثم تفكر في هذا الجواب الذي يحمل بين ثناياه محبة صادقة، وإخلاصاً رائعاً وفداءً لشخص النبي ﷺ.

قال: «أوصيك يا معاذ: لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاة أن تقول: (اللهم أَعنّي على ذِكرِك وشكرك، وحُسنِ عبادتك)»[1].

وكان رضي الله عنه مع علمه ورعاً تقياً قد أعطي منطقاً آسراً مقنعاً، وسمتاً حسناً.

وما أجمل الإنسان حينما يجتمع فيه العلم الواسع، والعمل الصالح، والسكينة والوقار، ولذلك أحبه الناس، وأحبوا كلامه ومجلسه، وإذا اختلفوا في شيء صدروا عن رأيه، لما وقر في قلوبهم من هيبته، وتثبته فيما يقول، وما أصدق وصف أحد معاصريه فيه: كان إذا تكلّم كأنما يخرج من فمه نور ولؤلؤ. وهذا شهر بن حوشب يقول: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا إليه هيبة له..

ويحدثنا أبو مسلم الخولاني رحمه الله ـ وهو واحد ممن أحب معاذاً، واقتدى به ـ قال: جلست مجلساً فيه كهول من أصحاب النبي ﷺ ـ وفي رواية: عشرون[2] ـ وإذا فيهم شابٌّ حديثُ السن، حَسَنُ الوجه، أَدْعَجُ

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٢١١٩)، وأبو داود برقم (١٥٢٢)، وابن حبان (٢٠٢٠)، وغيرهم.

(٢) رواية أحمد برقم (٢٢٠٠٢)، وفي رواية: (اثنان وثلاثون) عند أحمد برقم (٢٢٠٦٥).

العينين، أَغَرُّ الثنايا، فإذا اختلفوا في شيء فقال قولاً انتهوا إلى قوله، قال: قلت لجليس لي: من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل.

فتردد عليه وأخبره أنه يحبه، فما كان من معاذ إلا أن قال له: أبشر إن كنت صادقاً: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه يقول: «المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله».

(أبشر إن كنت صادقاً): يا لها من دقة متناهية تدل على حكمة ووعي، وتنبهنا إلى ضرورة التحفظ والتثبت، وعدم إلقاء الكلام جزافاً واعتسافاً، إن الحب ليس كلمات تقال، ولا عبارات تلقى على عواهنها.. إنه صدق وإخاء، وبذل ووفاء، إنه ليس بيعاً يتم بين متعاقدين، ولكنه عقد مبدأ وعقيدة، تبذل من أجله المهج والأرواح، ذلك لأنه نال شرف النسبة إلى الله، والإضافة إليه..

وهذا مثال آخر ممن أحب معاذاً حتى إنه لزمه، ولم يفارقه حتى الممات؛ إنه عمرو بن ميمون الأودي قال: قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول الله ﷺ من السحر رافعاً صوته بالتكبير، أجش الصوت، فألقيت عليه محبتي، فما فارقته حتى حثوت عليه التراب بالشام ميتاً رحمه الله[1].

وكان رضي الله عنه شديد الحرص على تعلم العلم، والاستزادة منه، وقد ساعده على ذلك قلب عقول ولسان سؤول، فلا عجب إذ نراه يكثر السؤال عن الأمور الصغيرة والكبيرة حتى غدا «أعلم الأمة بالحلال والحرام»[2]. بشهادة النبي ﷺ، وكفى بها شهادة..

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٢٠٢٠).

(٢) حديث: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ». أخرجه أحمد بن حنبل في «مسنده» برقم (١٢٩٠٤)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٧٩١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٨٧)، وابن ماجة في «سننه» برقم (١٥٤)، عن أنس بن مالك.

وعن معاذ أنه قال: يا رسول الله أوصني! قال: «اتق الله حيثما كنت»، قال: زدني، قال: «خالقِ الناسَ بخُلق حَسَنٍ»[1].

وكان يغتنم أوقات الفراغ ليسأل رسول الله ﷺ عما يجول في خاطره، ويتردد في نفسه، فيجد الجواب الكافي، والدواء الشافي لما يريد..

قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، فلما رأيته خليّاً قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخلُني الجنة. قال: «بخٍ، لقد سألت عن عظيم، وهو يسيرٌ على مَنْ يسره الله عليه: تقيمُ الصلاة المكتوبة، وتُؤدي الزكاة المفروضة، وتلقى الله عز وجل لا تُشركُ به شيئاً». ـ وعندما رأى رسول الله ﷺ فيه الذهن الواعي، والحرص الشديد، عامله بالمثل، وزاد عليه ـ قال: «أولا أدلُّك على رأس الأمر، وعموده، وذُرْوةِ سنامه؟.

أما رأس الأمر: فالإسلام، فمن أَسلمَ سَلِمَ، وأَما عموده: فالصلاة، وأما ذُروةُ سنامه: فالجهادُ في سبيلِ الله.

أَولا أَدلك على أَبوابِ الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطايا، وتلا هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2].

أولا أدلك على ملاك ذلك كله؟»، قال معاذ: فأقبل نفر فخشيت أن يَشْغَلوا عني رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله قولك: أولا أَدلك على ملاك ذلك كله.

قال: فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى لسانه، قال: قلت: يا رسول الله؟ وإنا لنؤاخذ بما نتكلم به؟

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم ٢٢٠٥٩).
(٢) سورة السجدة: آية ١٦.

قال: «ثَكِلتك أُمُّك يا معاذ! وهل يُكبُّ الناسَ على مناخرِهم إلا حصائدُ أَلسنتِهم»[1].

اقرأ هذا الحديث لترى فيه حسن الإيراد والإصدار، وجمال السؤال والجواب، إن هذا الأسلوب من أجمل وأروع الأساليب التربوية وأكملها، لما فيه من التقسيم الجيد، والحصر المفيد، وحسن العرض، والاستفهام الذي يشد السامع، وينبهه لما يلقى إليه، ولا غرو فصاحب هذا الأسلوب رسول الله ﷺ.

وهكذا كان معاذ بن جبل مثلاً للطالب الدؤوب في مدرسة سيدنا محمد ﷺ فهو يسأل ليظهر الحق، ويزداد وضوحاً، ويستفهم ليزداد تثبتاً لا للجدل العقيم، والتعنت للرأي السقيم..

وعندما يسأل نجد في طيات سؤاله جوامع الكلم مما يدلل على عقل كبير وحكمة بليغة.. فقد سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان؟ قال: «أفضل الإيمان: أن تُحِبَّ للَّه، وتُبغِضَ للَّه، وتُعمِل لسانَك في ذكرِ اللَّه..».

وهو لا يكتفي بالحد الأدنى، بل يطلب الاستزادة..

قال: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «وأن تُحِبَّ للناس ما تحبُّ لنفسِك، وتَكْرَه لهم ما تكرَه لنفسك، وأَن تقول خيراً أو تَصْمُت»[2].

إنها كلمات قليلات، وفيها حكم بالغات.

لقد رأى رسول الله ﷺ في معاذ أهلية تحمل الأمانة العلمية والقيادية، فكان يعدّه لذلك الأمر، ويوصيه بما يليق بهذا المقام.. لقد امتاز معاذ بحصافة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٢٠٦٨)، والترمذي في «جامعه» (٢٦١٦)، وابن ماجه برقم (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٢١٣٢)، وغيره.

العقل ورجاحته، وشدة الذكاء وتوقده، قد جمع بين الأناة والحلم، والحكمة والعلم، وتقوى الله في السر والعلن. لقد توافرت فيه صفات الداعية إلى الله ثقافة وسلوكاً، عقيدة وفكراً، فجنّده رسولُ الله ﷺ لهذا الأمر وحثَّه عليه، ورغَّبه فيه: «يا معاذ: لأنْ يَهدِيَ اللَّه على يديك رجلاً من أهل الشرك خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم»[1].

فحري برجل هذه صفاته أن يكون من رسل النبي ﷺ؛ يعلّم الناس شرائع الإسلام، ويرشدهم إلى الحلال، وينهاهم عن الحرام.

أجل بعد هذا الإعداد الرائع، وقع عليه اختيار النبي ﷺ للنيابة عنه في اليمن، وعند تحركه من المدينة خرج معه مودعاً، وهو يوصيه: قال: «إيّاكَ والتنعم؛ فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين»[2]. كأنَّه يقول له: إنها رحلة جهاد ودعوة إلى الله، وفيها المتاعب والمشاق، والتنعم ينافي ما ستقوم به، ولأنك ستكون قدوة، وفي الناس الضعيف والمحتاج فليس من الحكمة في شيء أن تكون متنعماً، وحولك من يشكو الفاقة والحاجة.

ومن وصيته له: «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟» قال: أجتهدُ رأيي، لا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: «الحمد لله الذي وفَّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله»[3].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٢٠٧٤).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٢١٠٥).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٢٠٠٧)، وأبو داود برقم (٣٥٩٣)، والترمذي (١٣٢٨) وغيرهم.
وقد مال إلى تصحيحه عدد من أهل العلم منهم: أبو بكر الرازي، وابن العربي، والخطيب البغدادي، وابن قيم الجوزية.

وضرب الصدر منه ﷺ كناية عن الرضا، لقد توصل معاذ إلى طرق الاستنباط من الكتاب والسنة، والاجتهاد فيما لا نص فيه على ضوء الكتاب والسنة، وهذا العمل يرضي رسول الله لأنه من طريقته وهديه. فلما فرغ من أمر الدنيا التفت إلى أمر الآخرة:

فقال: «يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تَمُرَّ بمسجدي هذا، وقبري ـ فبكى معاذ جَشَعاً لفراق رسول الله ﷺ ـ ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال ﷺ: «إن أولى الناس بي المتقون مَنْ كانوا، وحيثُ كانوا»[1].

ولا يخفى من سياق هذا الحديث أنه أراد معاذاً فيمن أراد..

هذه آخر كلمات يسمعها معاذ بن جبل من رسول الله ﷺ، ويسدل الستار بين أعظم معلم ﷺ، وبين تلميذ نجيب من خريجي مدرسة محمد ﷺ..

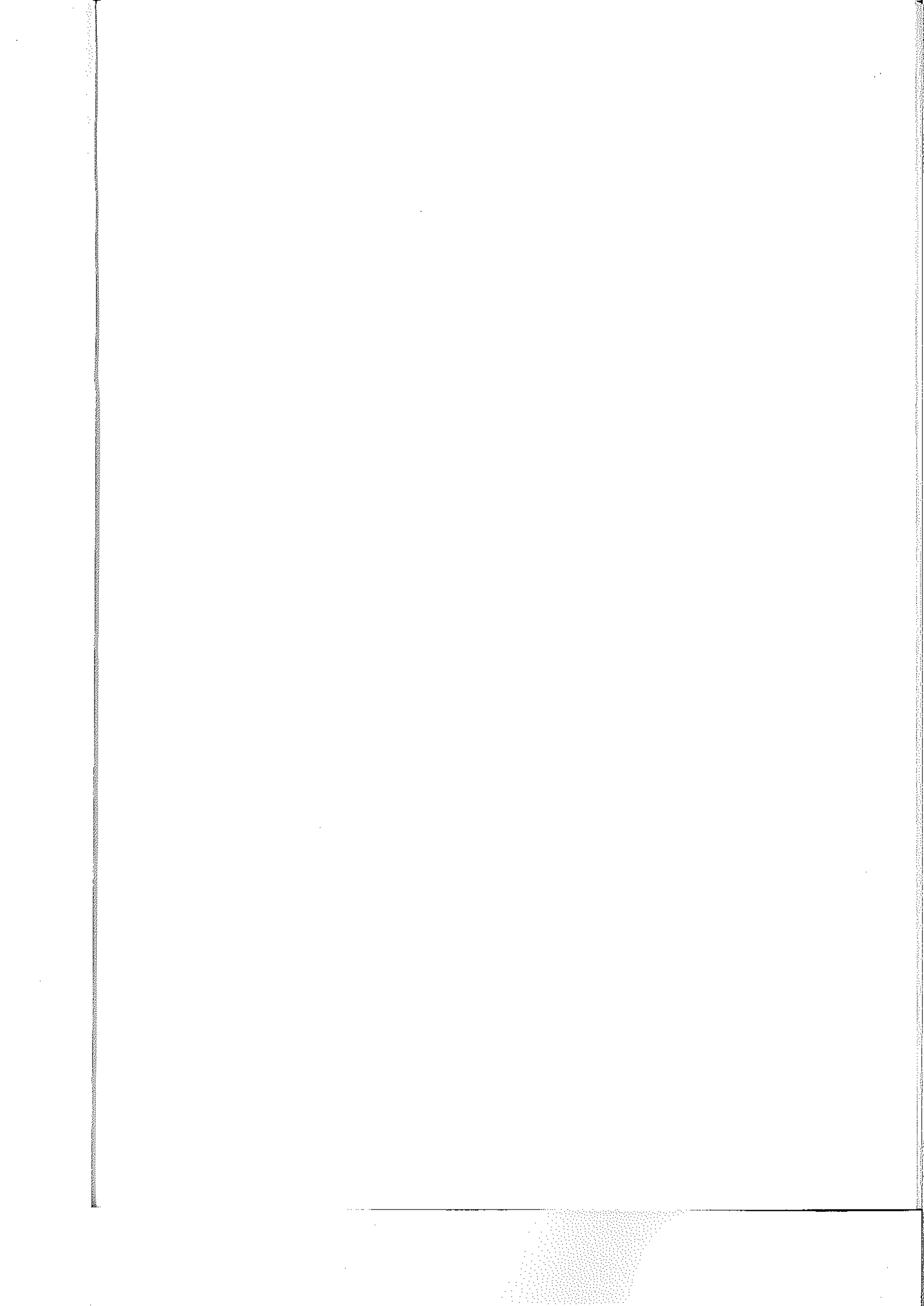
ونمضي مع الزمن لنرى معاذاً، ودموعه تتساقط على خديه!! لقد عاد من اليمن، ولكنه لم يلق الحبيب ﷺ فقد ذهب إلى ربه، أليس قد قال: «يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا»! ومهما يكن من أمر فلم يطل عهد معاذ بالدنيا من بعده..

والعجيب الغريب في حياة هذا الصحابي الجليل أنه بلغ هذه المنزلة الرفيعة في علمه، وفي إجلال المسلمين له أيام الرسول ﷺ وبعد مماته، وهو شاب، فلقد مات معاذ في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه، ولم يجاوز من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة[2].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٢٠٥٢)، وابن حبان برقم (٦٤٧) وغيرهما.
وقوله: «جشعاً» قال ابن الأثير في «النهاية»: الجشع: الفزع لفراق الإلف.

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١ / ٤٤٣ ـ ٤٦٨)، و«الإصابة» لابن حجر (٦ / ١٣٦).



الخاتمة

شرف الكلمة عند النبي ﷺ

كم يكون الإنسان ظالماً حينما يتصور أنه خلق عبثاً في هذا الكون المحكم!! ذلك لأن مثل هذا التصور له آثاره السلبية الخطيرة في حياة هذا الإنسان.. وهو عندما يصل إلى هذه الدرجة من التفكير، وتصل تصوراته عن الكون والحياة إلى هذه السطحية؛ فاعلم أنه قد انحط من إنسانيته، ونزع عن نفسه ثوب الكرامة التي أكرمه الله بها، فأصبح كالأنعام أو أضل سبيلاً...

والله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً من مخلوقاته إلا لحكمة يريدها، وقد أخضع هذا الكون لقانون لا يتخلف، وجعله منوطاً بأسباب، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ومظاهر هذا الإتقان البديع واضحة للعيان، ويمكن أن يلحظها المرء في كل شيء مخلوق صغر أو كبر..

وإذا كان الإنسان ـ وهو أحد هذه المخلوقات ـ خاضعاً بالضرورة لنواميس الكون، وقوانينه من حيث خلقه ووجوده، فليخضع مختاراً لمنهج الله وشريعته في عقيدته وفكره وسلوكه، حتى يتم التوافق بينه وبين هذا الكون.

ولهذا كان الإنسان مسؤولاً عن أعماله جميعها، مسؤولاً عن كل علاقاته، سواء كانت هذه العلاقة مع خالقه الذي أوجده، أو مع نفسه التي بين جنبيه، أو مع الناس الذين يعيش معهم..

وقد تتداخل هذه العلاقات الثلاث مع بعضها، فتظهر آثارها واضحة على قدر تداخلها، وعندها لا بد لنا من الرجوع إلى مؤشر له أهميته في بيان هذه العلاقات، وإظهار القصور الذي يحدث بسبب التخلي عن المسؤولية تجاهها. .

هذا المؤشر هو الكلمة، فهي بحق كاشفة عن هذا القصور بصورة لا غموض فيها. . ومعبرة عنه أحسن التعبير. .

والكلمة كائن حي عند الإنسان الواعي، الذي فقه وجوده في هذه الحياة، وفهم أبعاد علاقته مع خالقه ونفسه ومجتمعه، وذلك لأنها تحدد كثيراً من مواقفه، وتعرفه بمسؤوليته تمام التعريف.

ولذلك فقد أولى النبي ﷺ الكلمة اهتماماً بالغاً، فهو لا يفتأ يذكر الأمة بآثارها وينبه العقول إلى أبعادها.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم». رواه البخاري عن أبي هريرة[١].

وها هي ذي السيدة عائشة رضي الله عنها تقول للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال لها: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[٢]. أي: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها! إن في هذا ترهيباً شديداً لكل من تسول له نفسه فيلقي بالكلمة وهي مخالفة لمنهج الله،

---

(١) برقم (٦٤٧٨).

قال النووي: فيه حث على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم، وإلا أمسك.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» برقم (٢٤٩٦٤)، وأبو داود في «سننه» (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢) وقال: حسن صحيح.

غير عابىء بها، ولا متفكر بمسؤوليته أمامها. . ولو أنه ألقى لها بالاً، وحسب لها حساباً، فلم ينطقها إلا بعد تفكير عميق، لما تحدد من مواقف، وتكشف عن مسؤوليات؛ لتجنبها أشد الاجتناب!

وهكذا كان مفهوم الكلمة عند سلفنا الصالح، كان واضحاً في أذهانهم بقدر غموضه في أذهاننا، وكان ظاهراً في أنفسهم ومواقفهم ومجتمعاتهم، بقدر غيابه عن أنفسنا ومواقفنا ومجتمعاتنا.

فهذا الإمام أحمد بن حنبل قد حسب للكلمة حسابها، وعرف مسؤولياتها وأبعادها، فظهرت آثارها في مواقفه عندما أبىٰ القول بخلق القرآن، لمّا دعي إليه. لقد أدرك الإمام أحمد قيمة الكلمة، فوقف موقف الحق أمام هذا السيل الجارف، وأدلى بكلمته غير هياب ولا وجل، ولو أنه لم يفعل، لتغير مجرى التاريخ!!

ولماذا نذهب بعيداً: ألم نعلم أن كلمة واحدة تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان؟! وكلمة واحدة تثبت في حق امرىء تجعله صادقاً أو كاذباً، وكلمة واحدة تفصل بين كونه مجرماً أو بريئاً. . وكلمة واحدة يؤتمن عليها فيفشيها فيكون خائناً، وكلمة في موعد ألزم نفسه به، فتخلف بغير عذر فيصبح منافقاً!

ألم تعلم أن كلمة واحدة يسرّ بها مسلم، فيحسب من المتصدقين، قال عليه الصلاة والسلام: «الكلمة الطيبة صدقة»[1]. وكلمة واحدة يذكر الله بها، فيكون من الذاكرين. وكلمة واحدة يستغفر الله بها، فيغدو من التوابين!

وحسبك أن الكلمة موقف، يحسب لك أو عليك، ومسؤولية تظهر آثارها عليك عاجلاً أو آجلاً. . .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٨٩١)، ومسلم برقم (١٠٠٩) عن أبي هريرة.

والكلمة: إنما تحسب لك موقفاً إذا قيلت في وقتها المناسب، عند الحاجة إليها، وإلا قيل لك: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا... ﴾[1] في جواب من قال: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ... ﴾[2] وعندنا لا ينفع الندم.. أيها الإنسان إن هذه الكلمة التي تتفوه بها بأسرع من لمح البصر غالية جداً، لا تكاد تعادلها كنوز الأرض مجتمعة، فإياك إياك أن تجرفك الأهواء، وتلعب بك النزعات، فترخص عندك ما أغلاه الله، فمن رخصت كلمته قلت قيمته، وذهبت شخصيته، وانحدر في دركات الخسران. ومن غلت كلمته عظمت قيمته، وارتفع شأنه عند الله وعند الناس.. وغير بعيد عنك أن الموقفين متضادان، وأن كلاً منهما مضرب مثل، وما أظنك إلا سامعاً أو عالماً أن فلاناً ينطبق عليه قول الشاعر:

كل يوم تتلون ... غير هذا بك أحسن

فما ترى الناس إلا ذامة له، منصرفة عنه، وإن فلاناً آثر الشظف والكلفة لقاء كلمة حالت دونه ودون متاع الحياة الدنيا وزخرفها، ولو شاء لفعل، ولكن أليست الكلمة هي الحياة، وأليست الحياة الدنيا دليل الحياة الآخرة..؟!

* * * * *

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١٠٠.

(٢) سورة المؤمنون: آية ٩٩، ١٠٠.

الفهرس

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني: قسم الكمبيوتر في
دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ ـ فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ ـ ص. ب ١٨٢٧٤٢ ـ عمان ١١١١٨ ـ الأردن

هذا الكتاب

تهدف هذه البحوث إلى معالجة بعض المفاهيم الخاطئة المنتشرة في الأوساط الإسلامية في عدد من القضايا المتنوعة في باب العقائد والفرق، وأسباب النزول، وحملة الحديث الأوائل، والفقه ...

كما تهدف إلى دراسة بعض القضايا التربوية والاجتماعية، والإدارية في ضوء السنة النبوية ... على النحو الآتي :

١- الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه صورة من الداخل.

٢- ماذا عن الإيمان بالقدر؟

٣- ماذا يعني حديث افتراق الأمة؟ محاولة للاستفادة من الهدف الذي يهدف إليه الحديث.

٤- حول حديث النبي ﷺ « خلقت المرأة من ضلع ».

٥- هل الإصابة بالعين ثابتة في الشرع؟ وماهي طرق معالجتها في السنة؟

٦- من هم أحباء الله في القرآن والسنة؟

٧- معالم المنهج التربوي عند النبي ﷺ من خلال رمضان.

٨- ماهو منهج التعامل مع الأحاديث النبوية في الشؤون الطبية؟ ثمرة السفرجل في الحديث النبوي نموذجاً.

٩- حكمة النبي ﷺ في إدارة الأزمات وحل المشكلات.

١٠- نحو دراسة جديدة لحياة الصحابة.

١١- شرف الكلمة عند النبي ﷺ.

